A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

هدية النشرة

لصيف عام ١٩٥٢

خمسون عاماً
شعارها
القاعدة الذهبية

مؤلفه : جيمس پني

ومعرّبه : ابراهيم مطر

احدث مطبوعات مكتبة المشعل ببيروت

•

العبادة الجمهورية للكنائس الانجيلية

وهو كتاب اعدّه الوقور القس فريد عوده ، وسيعرض للبيع منفرداً او ملحقاً بكتاب الترانيم الروحية . والكتاب مجموعة من القراءات المتبادلة المبتكرة وترتيب لخدمات العبادة الجمهورية .

صفحاته ١٩٢ وثمنه مجلداً بقماش ٣٠٠ غ.ل.

الترانيم الروحية للكنائس الانجيلية

وهو الكتاب الذي طالما انتظرته الكنائس ، ويحوي ٤٤٠ ترنيمة معظمها جديدة . وسيعقبه ظهور كتاب الالحان قريباً . وستلبي مكتبة المشعل طلبات الكنائس التي دفعت مقدماً شيئاً من ثمن هذا الكتاب . وهي ترجو انه لدى تقديم الطلب ان يوضح اذا كان المراد الحصول على هذا الكتاب لوحده او ملحقاً به كتاب العبادة الجمهورية .

سامي في الطيارة

وهو كتاب للاحداث ومزين بالرسوم والالوان ، ومطبوع على ورق صقيل ، وغلافه بشكل طائرة . اعدته الانسة هنريت سكسك وزينته بالرسوم قرينة المستر اندرسون . ولا شك في ان هذا الكتاب سيكون مفاجأة للاحداث .

صفحاته ٢٤ وثمنه ٦٠ غ.ل.

الخيط الـــذهبي

قصة رمزية ، ومطالعتهـا مثيرة وهي تقدّم للاحداث درساً اخلاقياً رائعاً وقد ساعدت لجنـة العائلة والبيت ببيروت على نقل هـذه القصة الى العربية .

صفحات الكتاب ١٨ وثمنه ١٥ غ.ل.

خمسون عاماً شعارها القاعدة الذهبية

هي ترجمة حياة جيمس بني كتبها المؤلف بنفسه واقتبسها الى العربية الاستاذ ابرهيم مطر . ورسمت غلافه قرينة المستر اندرسون وقد قدّمت هذه السيرة ادارة النشرة هدية لمشتركيهـا لصيف عام ١٩٥٢ . والكتاب معروض ايضاً للبيع لغير قراء النشرة صفحاته ١٢٠ وثمنه ليرة لبنانية فقط . فاقرأ هـذه السيرة لتتلمّس اسرار النجاح ولتشق طريقك في ميادين الحياة ...

مجلـــة النشرة

هي مجلة الكنيسة والبيت والمدرسة ... هي تعالج المواضيع الدينية والادبية والاجتماعية والعلمية ... هي تنشر اخبـار النشاط الكنسي لمختلف الطوائف المسيحية . وهي تقدم هديتها – الكتاب النفيس – لرجل عاش مع القاعدة الذهبية – لمن يشترك فيها من جديد . والادارة تقبل من كل مشترك جديد عن الثلاثة اشهر الباقية من السنة ليرة لبنانية فقط .

فبادر – ايها الاديب – الى الاشتراك بها ... وقدّمها لصديقك

بيروت ص.ب ٢٣٥

سلسلة تراجم الحياة

من مطبوعات مكتبة المشعل ببيروت
١٩٥٣

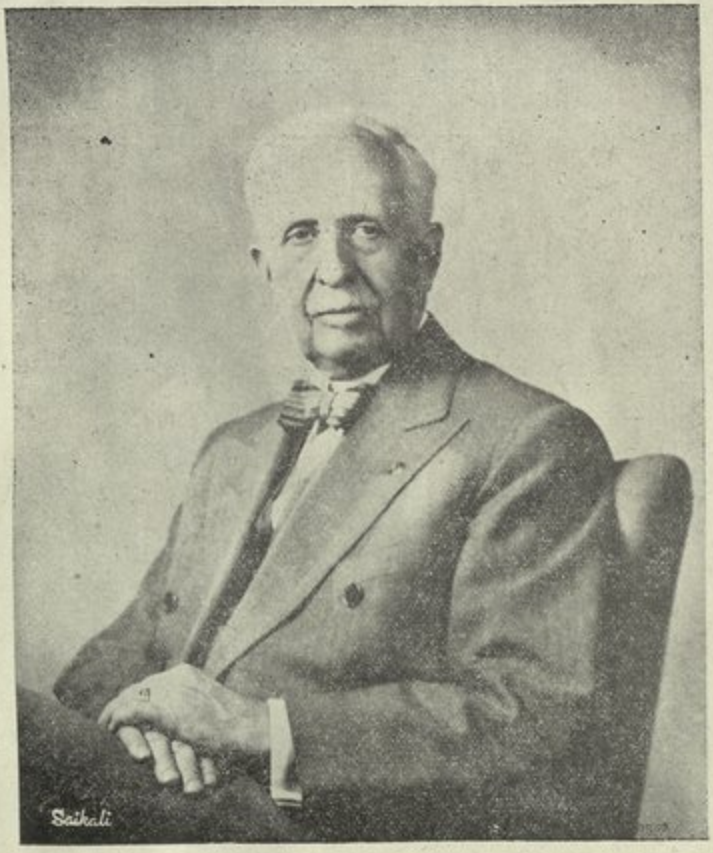

صورة المؤلف جيمس بني

CA
923.873
P413fA
C.1

خمسون عاماً
شعارها
القاعدة الذهبية

•

تأليف : جيمس بني
اقتباس : ابرهيم مطر

مكتبة المشعل
TORCH LIBRARY

بيروت ص.ب ٢٣٥

طُبع في المطبعة الاميركانية ببيروت عام ١٩٥٢

تقديم الكتاب

تبدو الحياة لمن حطّمه اليأس انها برّية قاسية ومنفى موحش ... وتبدو لاولئك الذين فقدوا ايمانهم انها ضباب ودخان ، وفراغ وصحراء مقفرة ... بيد انها تتمثّل لرجال الايمان سفرة ذات قصد ومرمى ، وغرض ومعنى . ولزام على كل مسافر في طريق الحياة الوعر ان يهتدي الى ما يسدّد خطاه ويرشده سواء السبيل . ولا شك في ان ذلك الرائد سيجد في حياة الرجال العظام والاخيار بصيصاً من النور يضيء له السبيل ، ويوجّهه في الطريق المستقيم .

ويخيل اليّ ان هذا هو ما يحمل مكتبة المشعل على نشر كتب السير والتراجم لكواكب نيّرة اضاءت في سماء هـذا الوجود . ففي الصيف الماضي اصدرت مكتبتنا كتاب **كواكب ورواد** حوى سيرة ١٧ عظيماً اختيروا من عصور مختلفة ومن بلاد متنوعة . ويطيب لنا ان نقدم الان لجمهور القراء سيرة رجل معاصر شق طريقه في عالم التجارة ، واحرز مكانة مرموقة بفضل امانته واستقامته ، وتمشيه بموجب مبادىء القاعدة الذهبية .

وكاتب هذه السيرة هو جيمس بني . وقـد كتبهـا بنفسه وباللغة الانكليزية . وكلّفنا الاستاذ ابرهيم مطر – المحرر بدائرتنا – ان يقتبسها وينقلها الى اللغة العربية لفائدة الجمهور . وسوف تجدون في هـذه السيرة شهادة صادقة لرجل اكتشف امرين خطيرين استطاعا تحقيق النجاح له في الحياة **الاول** هو اثر المحبة لمن يسافرون معاً في زورق هذه الحياة **والثاني** تحققه ان الحياة ليست وهماً وسراباً بل هي بالاضافة الى كونها حقيقية – سفرة روحية ومحجّة علوية .

فعسى القراء يجدون في هذا السفر لذة روحية ، وسبيلاً للتقدم والنجاح ، وباعثاً للعمل والانطلاق .

كليفتون اندرسون
مدير مكتبة المشعل

أعود بالذكرى الى صيف عام ١٨٨٧ عندما جلست مع والدي في احدى الليالي على شرفة منزلنا الريفي . فقد انتهينا من عمل النهار المضني وجلسنا نروّح عن نفسينا . وكنّا صباح كل يوم نسوق عربتنا ذات العجلتين الى بعض القرى المجاورة لبيع محصولات الارض ، ونتاج المزرعة . وكانت تلك المزرعة التي ادارهـا والدي عزيزة عليه ، وحبيبة الى قلبه . وما اعذب تلك الجلسات على تلك الشرفة ! وما احلى الراحة بعد التعب !

اذكر ذات عشية صافية ونحن جالسان في ذلك المكان نمتّع انظارنا فيما حولنا ... ان بدا فجأة في الجو بعض الاكفهرار والشحوب . ولاحظت عند ذاك ان والدي كان مستغرقاً في التفكير في موضوع الآية التي كان يستعد ليعظ بها في الكنيسة التي كان يخدمها . وكانت تلك الكنيسة على

بعد ١٢ ميلاً من مزرعته .

وغمرتني في تلك الآونة الذكريات ، وتراكمت الافكار على مخيلتي وكنت عند ذاك في الثانية عشرة من عمري . وكان عليّ ان اشتغل بجدّ في المزرعة بعد فراغي من اعمال المدرسة . ولم اكن شغوفاً بالالعاب المدرسية ولا بحضور الحفلات التي تقام فيها ، بل تعودت ان اقضي معظم اوقات فراغي في العمل في مزرعة والدي ... وفرض عليّ والدي عند ذاك ان ابتاع ملابسي مما اوفره من دخلي الخاص . وكان منظر ملابسي مثيراً للسخرية بين رفاقي . لكن ما العمل وهذا هو وضعي وتلك كانت حالتي ... ! وحملني هذا الوضع للشعور بانني في معزل عن الدنيا وانني لست احد ابنائها .

* * *

وغمرنا الظلام ، وشجعتني تلك العتمة ان ارفع صوتي واقول لوالدي : انا لا اعتقد بوجود اله ... ولم يعقب والدي على تصريحي هذا باي كلمة بل ظل صامتاً . الا ان حركة اوراق الاشجار ونباح الكلاب قطعت ذلك السكون . وتطلعت الى والدي ، وتفرست فيه فاذا مسحة من الحزن والكآبة تعلو محياه . فادركت ان ذلك كان نتيجة التصريح الذي تسرّعت في التفوّه به امامه . وسمعت والدي يقول لي بكل وقار واتزان : ان السجون – يا ولدي – ملآنة بالذين لا يؤمنون بوجود اله ...

فمنذ البداية اخذت ادرك ان والديّ كانا خير مثال لي اقتدي بهما فقد كان لهما ايمان راسخ بالله ، وقد تحليا بصفات الروّاد المجازفين .

وكلاهما آمن بفوائد التربية والتهذيب ، وسعى للحصول عليها جهد طاقته . فوالدي انهى دراسته في احدى الكليات عندما بلغ السابعة عشرة من عمره . وعلمت انه القى خطاباً في حفلة توزيع الشهادات عن : « المحسنين في العالم » استشهد فيه بحياة السيد المسيح ... وبالمصلح الشهير مارتن لوثر ، وببعض الرجال الاخيار الصالحين . وجميع الذين استمعوا الى خطابه عند ذاك لاحظوا ميله للوعظ والكرازة . كذلك تلقت والدتي تعليمها الابتدائي في مدرسة تابعة للراهبات ، ليس لانها كانت كاثوليكية المذهب بل لان الراهبات في تلك الناحية كنّ من ارباب الاختصاص المتمرنات على التعليم .

ووُجد لوالدتي بعض الاقارب في ولاية مسّوري ، فتوجهت لزيارتهم وقضاء بعض الوقت عندهم ، وكانت والدتي بعد فتاة في ريعان شبابها . وحدث ان اضطربت الاحوال عند ذاك بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية فخشي جدي على ابنته ، بان تحول تلك الحرب الاهلية دون عودتها فطلب اليها ان تؤوب الى بلدتها في الحال . ولمّا لم يكن مسموحاً لفتاة في مقتبل عمرها ان تسافر لوحدها ، طُلب من احد اقاربها ان يرافقها . وشاءت الحكمة الالهية ان تكون رفقة ذلك القريب ممهّدة للزواج – اذ لم يمض وقت طويل حتى ارتبط الاثنان بالرباط المقدس وهكذا اصبح جيمس كاش بيني والدي واصبحت ماري فرنسيس باكستون والدتي ...

واستوطن العروسان في احدى قرى ولاية مسّوري بالقرب من هاملتون . وهناك ابتاعا قطعة من الارض حولاها الى مزرعة وجعلاها مورد

رزقها . ولم تكن والدتي قد تعودت الاعمال الزراعية بيد انها اخذت تشعر بمسؤولياتها وتقوم بواجباتها عن طيبة خاطر . فسارعت الى مساعدة والدي بشتى الطرق لتثبيت اسس ذلك البيت الجديد الذي وُضعت دعائمه في تلك البلاد المقفرة .

* * *

ورزق والدي ١٢ ولداً بلغ ستة منهم سن الرشاد . وقامت والدتي لوحدها باعباء العمل وما ترتب عليها من مسؤوليات تجاه بنيها . وكنت تراها تعمل باخلاص من الصبح الى المساء ، والابتسامة تعلو شفتيها وعلامات الرضى ترتسم على محياها . وكانت كلها ثقة وايمان بالله الذي كان رائدها في الحياة وسبب اطمئنانها وصفاء سريرتها .

وبلغت مساحة المزرعة التي ادارها والدي ٤٠٠ فدان . وكانت ارضها تصلح لتربية المواشي لوفرة المراعي فيها . وكان والدي يحب مزرعته كثيراً واصبح شغله الشاغل ازدهار هذه المزرعة ونجاحها . وشرع والدي بابتياع الدواجن وتربيتها حتى اذا ما سمنت اخذها الى الاسواق وباعها ببعض الربح . ولم يكن يزرع ارضه بالحبوب لذلك كان لا بدّ له من شراء العلف لاطعام الدواجن التي اقتناها . ثم انصرف الى الشغل الجدي والعمل بامانة واخلاص . وكان اعتماده دائماً على الله سواء في حالات العسر ام اليسر النجاح ام الاخفاق . ولم يكن لديه اموال زائدة او مورد اضافي يعتمد عليه لذلك اضطر الى الاقتصاد في امور المعيشة ، والاقتصار على الضروريات دون الكماليات . وعلمته تلك الظروف دروساً قيّمة في الاقتصاد ، ونكران الذات ، وبعض الفضائل الاخرى .

ولما بلغت الثالثة من عمري بدأ والدي يفكر في امر تعليمي . فرهن مزرعته وابتاع بيتاً بجوار هاملتون ليكون اولاده قريبين من المدرسة . واضطرتنا الظروف ان نعيش عيشة متواضعة وان نتحمل بعض الضيق والشدة ، بيد ان ابي رغم تلك الشدائد كان قوي الايمان بالله وبالحياة الثانية . ولم يتزعزع ايمانه مهما قست الايام واشتدت ظروف الحال . وبالرغم من كثرة اشغال والدتي ووفرة مسؤولياتها كنا نسمعها دوماً تردّد الصلوات وترفع الابتهالات . وما اكثر ما كانت تردّد على مسمع منا هذا الاعتراف : ارحمني – يا الله – انا الخاطئة ... ولم اكن لادرك عند ذاك قوة ذلك الاعتراف انما كان سلوكها يملأ قلوبنا بالاعجاب . ولا انكر ان هذه السجايا التي لمستها في حياة والدتي كان لها التأثير الحسن على مجرى حياتي مدى الايام .

وكان ابي يعوّدنا منذ الصغر الاعتماد على النفس . وما اكثر ما يقول : لو كنت املك مليون دولار وكان عندي عشرة اولاد لما اعطيت دولاراً واحداً منها الى اي ولد منهم . وان بدا هذا المسلك غريباً منه بيدَ انه لم يكن قاسياً لانه انما كان يقصد تنشئة بنيه على حب الاعتماد على انفسهم . وهكذا فاني بدأت اتمرن على الاعتماد على نفسي وانا في الثامنة من عمري . وما زلت اذكر تلك الساعة التي ناداني فيها وخاطبني قائلاً : يترتب عليك منذ الساعة ان تعتمد على نفسك . وسوف يتحتم عليك ان تبتاع ملابسك من دخلك الخاص ...

وظننته مازحاً في هذا غير انه تبيّن لي انه كان جاداً في قوله ، اذ

منذ ذلك الوقت فُرض عليَّ ان ادفع ثمن ملابسي من جيبي الخاص . ولم يكن لدي مالٌ مدخر ... ولم يكن والدي يخصص بعض المصروف لي كل اسبوع لاقتصد منه ، لذلك وجدت نفسي مضطراً ان اشتغل لاحصل على بعض النقود . فاخذت اقوم ببعض الاعمال الاضافية وقضاء بعض الحاجات للجيران . وكان اول ما ابتعته حذاء كلفني دولاراً .

* * *

واخذت اتردد في الصباح على مدرسة احدية تابعة للكنيسة المعمدانية ، وبعد الظهر الى مدرسة ثانية تابعة للكنيسة المشيخية . واصبح همي تحصيل المال وتوفير بعض الدولارات . وقد استطعت ان اوفر قليلاً من الدولارات ابتعت بها خنزيراً . وقلت في نفسي استطيع اطعامه من الفضلات التي تزيد عن موائد الجيران ، فاذا ما سمن هذا الخنزير بعته ببعض الربح . ونجحت في هذا المشروع ، وما مضى بعض الاشهر عليَّ حتى اصبح لدي ١٢ خنزيراً .

وجاءني والدي ذات يوم يقول لي ان الجيران يتذمرون من وجود هذه الخنازير بجوارهم ، فلا بدَّ من بيعها والخلاص منها . وكان والدي يرغب ان يسيّر دفة حياته بموجب القاعدة الذهبية ، وكان يهمه ان يراني بدوري اعيش بموجبها ايضاً . فبنفس حزينة اضطررت ان ابيع خنازيري مع ان ذلك الوقت لم يكن مؤاتياً لبيع وشراء لحوم الخنازير . وعلى كل فقد كنت مضطراً ان ابيعها وقد تسلمت ثمنها فاودعته في مصرفين . وسألني والدي لماذا اودعت الخمسين دولاراً ثمن الخنازير في مصرفين . فهذا

المبلغ الصغير لا يستحق هذه التجزئة . اجبته : انني اضمن بهذه الطريقة انه اذا افلس احد المصارف اجد قسماً من مالي في المصرف الثاني ...

واراني منذ حداثتي تلقنت درساً عملياً عن والدي في تطبيق القاعدة الذهبية بالاضافة الى ما اختبرته من الطرق الحكيمة لاستثمار المال ووسائل الايداع . وصدف ان اقيمت في ناحيتنا بعض اجتماعات دينية انتعاشية . وشعرت عقب احد الاجتماعات انه يحسن بي ان انضمّ الى احدى الكنائس ، فقال لي والدي ملاحظاً : وهل تدرك يا جيم معنى ما انت عازم عليه ... ؟ وكان والدي يتحمس للدين كثيراً ويفرّق بين دين حقيقي ودين عاطفي . فاجبته : استطيع يا والدي ان اتحمل التبعات التي ستلقى علي عند انضمامي الى الكنيسة ... غير ان سؤاله بقي يثير تفكيري ويوقظ ضميري طيلة تلك المدة مما جعلني ارجىء الانضمام الى اية كنيسة الى زمن متأخر ...

طالما تمنيت وسعيت لزيادة دخلي عن طريق مشاريع جديدة . ورغبت ان ادخل في شركة مع والدي الذي كان يتاجر بالخيول فقال لي : الافضل ان تعمل وحدك ، وتكتسب اختبارات خاصة بك . فبدأت بشراء حصان واحد اعتقدت عندذاك اني توفقت فيه بيد انني حالما وضعته في الاصطبل بدأ يركل برجليه الحواجز وكأنه لا يطيق قيداً او زجراً . فاخبرت والدي بما حصل لي فاجاب : لا تظن يا جيم ان تجارة الخيول تُكتسب في وقت قصير من الزمن ... !

وكان والدي يشعر في قرارة قلبه ان لديه رسالة يود ان يوصلها الى ابناء زمانه . وكان يوزع نفسه بين العمل في المزرعة والخدمة في الكنيسة . فكان يكرّس ايام الآحاد لخدمة الرب عن طريق الوعظ والكرازة في حين

انه كان ينصرف ايام الاسبوع الى عمله الزراعي والتجاري . وقد انيطت به رعاية احدى الكنائس الريفية لان تلك الكنائس النائية كانت في حاجة ماسة الى قسوس يقومون بخدمتها ورعايتها . وكانت المدارس اللاهوتية التي تعدّ القسس قليلة لذلك كان المواطنون يكلفون من كانت معرفته بالامور الدينية واسعة ومن كان مشهوداً له بحسن السيرة ان يرعاهم ويقودهم في خدمة العبادة الجهورية . وكان والدي احد اولئك الذين اختيروا للخدمة الدينية المجانية .

* * *

وانبثقت في ذلك الوقت فكرة تأسيس المدارس الاحدية . فعقب ظهور جمعية الكتاب المقدس بوشر بتأسيس مدارس الاحد . واختلفت نظرات الناس من جهة هذه المدارس ، اذ انقسموا قسمين : قسم حبذ وجودها في حين ان القسم الآخر ظن سوءاً فيها . وكان فريق من الناس يعتقد بان التعليم يجب ان يقتصر على الوالدين والمدارس اليومية لانه خشي ان تصبح المدارس التابعة للكنيسة خطراً على الحرية السياسية . وتضاربت الاراء حول هذا الموضوع وانقسم الجمهور الى مناصرين ومقاومين ، واستمرت هذه المشادة عنيفة حقبة من الزمن ليست بقصيرة .

وكان والدي من انصار المدارس الاحدية ومن الذين اعتقدوا انه يتحتم على الوعاظ ان يُعدّوا اعداداً كاملاً لخدمتهم الدينية . وقد اغضب تفكير والدي الجريء هذا بعض اصحاب النفوذ في الكنيسة وسرعان ما حملوا على اقصائه من عمله في خدمة الكنيسة ساعين بالاضافة الى ذلك

لحرمانه من حقوقه الكنسيّة . ووقفت والدتي موقفاً جريئاً ايضاً اذ اعلنت امام الجماهير بانها تدعم زوجها في الرأي وطلبت من المتنفذين ان يشملوها بحرمانهم الذي فرضوه على زوجها لانها تشاركه في رأيه ، وتؤيده في نظراته .

اثارت هذه الحادثة والمعاملة الشاذة سخطي ، وكنت بعد في الرابعة عشرة من عمري . وفي مثل هذه السن يكون المرء عرضة لثورة العواطف والتأثر السريع ، اجل تأثرت عندما رأيت اولئك المسؤولين يجازون والدي بالحرمان مع انه كان يتحمّل كل اسبوع مشاق السفر بذهابه الى المراكز النائية ليقوم بخدمة الكنائس التي حرمت رعايتها . وكنت اراه يذهب اليها بالرغم من هطول الامطار ، وهبوب العواصف ، ومصاعب الطرقات . وقد واظب على خدماته لتلك المراكز طيلة سنين عديدة اذ كان يزورها اسبوعاً تلو الاسبوع . ولمستُ فيه تلك الجماعات القروية راعياً امينا ، وصديقاً حميماً . فما اقسى الانسان وما امرّ نكران الجميل ! فها هو هذا الخادم الامين يكافأ على خدماته بالطرد والحرمان ... !

* * *

واستغلّ والدي هذه الحادثة ليعلمنا درساً من دروس الاخلاق . فعندما لاحظ ثورتي الجامحة ، وتأثري البالغ قال لي : لا تحقد يا جيم على احد ... فالناس ينظرون الى الامور من خلال مناظيرهم الخاصة بهم ، وسوف يمرّ عليهم زمن طويل قبل ان يدركوا الحقيقة ويأخذوا باراء الآخرين . وكان والدي يمتد الى ابعد من مفاهيم عصره وزمانه . وما

اروع احتماله لتلك الاساءة ... ! فقد تحملها بـدون حقد او ضغينة بالرغم من ان حبه للكنيسة كان عظيماً .

تمنيت عند ذاك لو استطعت ان اكون مثل والدي ، وقلت في نفسي احتاج الى وقت طويل لاصبح في درجة متانة اخلاقه ورفعة عقيدته ولاسير على نهجه في التجرد عن الحقد والضغينة . واراني كلما تقدمت في العمر كلما التفت الى تلك الحوادث فاتخذت منها قدوة لحياتي وهداية لمسالك عيشي . وحدث ان رشح والدي نفسه ثلاث مرات لمنصب سياسي الا انه لم يفز في احد تلك الانتخابات... لكنه لم ييأس او يتذمر بل كنت اسمعه يقول : ما على المرء الا ان يسعى وان يقدم احسن مـا لديه . والله في تدبير ما دام العبد في سعي وتفكير .

* * *

ورغب والدي ان يوجهني للاعمال الزراعية فخصص لي اربعة فدادين من ارض مزرعته لاستغلها على طريقتي الخاصة . ولم يرشدني الى ما يجب زرعه في تلك القطعة من الارض التي خصصها لي ، لانه هو بدوره لم يكن يعنى بزراعة مزرعته بل كان يتركها للمواشي ترعى فيهـا وللعشب يغطي رقعتها فيزيدها روعة وجمـالاً . انه ترك امر اختيار نوع المزروعـات لي لاتعوّد الاعتماد على النفس منذ البداية . وتفتقت الفكرة لي ان ازرع تلك الفدادين الاربعة بطيخاً . فزرعتها وواكبني الحظ بحيث جاء المحصول وفيراً والموسم ممتازاً . وكان البطيخ يغري جماعات العمال وهم عائدون من اشغالهم عند المساء منهوكي القوى وعطاشاً فتحملهم التجربـة لقطف بعض الثمر

الشهي . فقررت المحافظة على محصول ارضي ان انصب خيمة لي وسط المبطخة وان اقتني كلباً واحمل بندقية ، واقوم بالحراسة بنفسي .

وما اسرع ما استعرت عربة والدي ، واخذت املأها بطيخاً واذهب بها الى الاسواق المجاورة . فكنت اقف في اول السوق واصرخ معلناً عن بطيخي ورخصه وجودته . وشاهدني ذات يوم والدي ابيع بهذه الطريقة فانتهرني وطلب مني ان اكفّ وان اعود فوراً الى المزرعة . فاذعنت لامر والدي مكرهاً . وقفلت راجعاً وانا حانق في قلبي على معاملته القاسية . وقلت في نفسي كثيرون نهجوا نهجي اذ اراهم يبيعون على طريقتي . وتجرأت فسألت والدي عن سبب المنع هذا فاجاب : ان من يبيع على طريقتك يجب ان يستحصل على ترخيص بذلك ، بعد ان يكون قد دفع ما يترتب عليه من رسوم فقلت له : انا اجهل القانون . اجاب : ان عدم معرفة القانون لا يبرّر لنا كسره ... وكأنه بذلك اراد ان يغرس فيّ المبادىء الاساسية الرفيعة التي هي في صميم المعاملات التجارية والانسانية .

كان تطبيق القاعدة الذهبية في عُرف والدي اهم بكثير من تحصيل المال . وكان يسعى ان يجعل لتلك القاعدة المكان السامي في حياة بنيه . وجاءني ذات يوم احد الشباب فعرض عليّ ان اشترك معه في التعامل بالنقود المزيفة مدعياً ان مكانة عائلتنا الاجتماعية لا تفسح مجالاً لاحد ان يرتاب فينا . فرفضت الاشتراك معه ، وابعدته عني بشدة قائلاً : انا لا ارغب ان تكون لي اية صلة بشركة كهذه . ولا بدّ ان يكون هذا الشاب قد

توفق لاستدراج شاب آخر غيري للاشتراك معه في هذا العمل الدني. وكان ذلك الشاب قد طلب مني ان لا ابوح لاحد بما عرضه عليّ ، فوعدته ان احتفظ بهذا سراً . انما لم يهدأ لي بال او يطب لي منام طيلة تلك المدة من فرط عذاب الضمير . ففاتحت والدي في الامر ، واستشرته ماذا يتوجب عليّ عمله . وها انا اعترف ان هذه كانت اول مرة نقضت فيها وعداً قطعته على نفسي .

وعندما انهيت دراستي ، تفرغت للاعمال الزراعية ، فقضيت بضع سنوات وانا اعمل في المزرعة . ولم استفد كثيراً من دراستي لان افكاري كانت متجهة لزيادة مدخولي . ولم انجز كثيراً من الاعمال في المزرعة ، لان التجارب علمتني انني لم اخلق لاكون مزارعاً . وفكرت عند ذاك بالاستعداد للمحاماة ، وكان لا بدّ لي من الالتحاق ببعض الكليات لكن اين لي المال لدفع نفقات التعليم ... ؟! ولم يكن عند والدي شيء متوفر يقدمه لي لتحقيق هذه الامنية ... وعرف عمي عن رغبتي بدراسة المحاماة ولمس حاجتي الى المال بيد انه لم يتقدم لاقراضي شيئاً اسدّ به نفقات تعليمي . وهكذا لم تتحقق امنيتي هذه ، غير اني بتّ اعيش في جو يزيدني فهماً لاغراض الحياة وتوضيحاً لقيمها ومفاهيمها . وما احتجت اليه عند ذاك كان توجيهات عملية تدفعني قُدماً وتسيرني الى الامام .

انا لا انكر اني ارتكبت بعض الاخطاء في محاولاتي الاولى بتربية الخنازير وفي زراعة البطيخ ، لكن لا بدّ من الاعتراف باني اكتسبت خبرة واسعة في هذه الاعمال وقد لمس والدي فيّ مؤهلات تبشر بنجاحي كتاجر . لذلك حدثته نفسه ان يوجهني للتجارة . وصدف ان كان له صديق من تجار مدينة هاملتون فقصده ورجاه ان يأخذني عنده لاتدرب في متجره على اصول البيع والشراء . ولاحظت انه بالرغم من انحراف صحته تحامل على نفسه وقصد صديقه المستر هيل ورجاه من اجلي . وبهذه الطريقة مهّد لي والدي دخول ميدان الاعمال التجارية .

وكان والدي يهدف من وراء ذلك اقصائي عن العمل الذي لم اخلق له ، وفتح الابواب امامي للاعمال التي خُلقت من اجلها . فانا مدين له في توجيهي للتجارة واختيار هذه المهنة لي التي حققت الايام انني خُلقت من

اجلها . وبدأت العمل عند المستر هيل في اوائل شهر شباط عام ١٨٩٥ . وكان هذا قد صرّح لوالدي ان السوق تكون راكدة في اشهر الشتاء لذلك فالوضع لا يشجع على استخدام موظف اضافي ، الاّ ان والدي وضح للمستر هيل اننا لا نبغي الربح المادي بل نسعى وراء اكتساب خبرة تجارية وفتح المجال امامي للتمرين . فقبلني المستر هيل ووعد بان يدفع لي عن الاشهر الباقية من تلك السنة خمسة وعشرين دولاراً .

* * *

اجل ان راتباً قدره دولاران ونصف الدولار شهرياً لا يستحق الذكر . انما قبلت آملاً بان اكتسب خبرة ، وان يكون ذلك فاتحة لعهد جديد لي في عالم التجارة . والتحقت بالمستر هيل في الرابع من شهر شباط . وما اسرع ما حدجني الموظفون بنظراتهم الحادة اللاذعة ساعة شاهدوني اباشر العمل معهم . وكانت ثيابي المهلهلة ومظهري الشاذ الغريب مثار سخريتهم ، بيد انني لم اعبأ بهزئهم بل شعرت بقدرتي على ملاطفة الزبائن واكتساب ثقة العملاء . فقد كانت عندي مقدرة خاصة للبيع ولم يكن يعوزها سوى فرص مؤاتية لاظهار تلك المؤهلات الدفينة واشخاص يشجعوني ويوجهوني في ميادين الاعمال .

وخشيت ان يستغني المستر هيل عني اذا شعر انني لم انجح في عملي . وكنت اصرف وقت خلو المكان من الزبائن في ترتيب السلع المعروضة للبيع ، ونفض الغبار عنها . وكثيراً ما كنت اركض من جهة الى اخرى لاظهر للمراقبين انني جدّ مشغول . وكنت اخشى مقابلة الناس

لعدم ثقتي بنفسي واستهدافي لمركب النقص . وحدث انه في ساعة من ساعات التيقظ الروحي ان برقت خاطرة لمعت في مخيلتي . فقلت في نفسي : لا يجب ان اداوم على خطة الانهزام هذه ... فان ادع رفاقي يقفون عثرة في سبيلي وفي طريق تقدمي . لاطرحن الحياء جانباً ، ولانفذن ما استطيع تنفيذه ... ووقفت بالقرب من اكوام البضائع وقلت : عليّ ان احترم نفسي ، واثق بمواهبي وقدرتي ... وليكن لي ايمان بالله الذي انعم عليّ بهبات كثيرة ومواهب وفيرة .

وشعرت ان احوالي تحسنت بعد هذا التصميم ، وبعد هذا الامتحان الروحي الذي اجتزته . وما هي الا بضعة اسابيع حتى غدوت في طليعة الباعة ، ومن خيرة من يتصرف مع العملاء . واصبحت اشعر بلذة خاصة في معاملة الزبائن بحيث لم ادع واحداً منهم يفلت مني .

* * *

وعندما اقبل الربيع شعر والدي بان صحته اخذت تسوء اكثر فاكثر ، وان ايامه اصبحت محدودة على هذه الارض . فدعانا الى سريره ، وابان لنا ما له وما عليه . واعلمنا ان المزرعة مرهونة ، وان ما يقلقه ويزعج باله هو مصير اولاده القاصرين . واخذ في تلك الفترة يعدد الامكانيات التي عند كل فرد منا . وقال عني : ان جيم يستطيع ان يدبر نفسه ، وقد كانت الطريقة التي سلكها في الحياة مثار اعجابي . وهكذا نفح فيّ والدي روح الثقة بالنفس ... وبعد هذا الاجتماع العائلي بايام قليلة توفي هذا الوالد البار الامين مبارحاً ديارنا الفانية وتاركنا لعناية القدير .

ولم يترك والدي لاولاده اي ميراث مادي بيد ان الميراث الروحي الذي خلّفه لنا لا يمكن تقديره بمال او بعقار . ويكفيني ما قاله عني : ان جيم يستطيع ان يدبر امره لوحده . فبهذا الميراث استطيع الان ان اشق طريقي في الحياة ، فامهد لمستقبل لامع كله اقدام وشجاعة ، وعمل وتضحية . وشجعني الاصدقاء بابتياعهم اغراضهم من عندي ، وبدأ الموظفون الذين سخروا مني في بادىء الامر يحترمونني ويقدرون مواهبي . وكان المستر هيل دائماً يرشدني وينبهني الى اخطائي ، ويزودني باختباراته . وزادت رغبتي في العمل من جراء هذا التشجيع . واخذت اشدّد على بيع البضائع القديمة لان البائع الماهر هو الذي يستطيع التخلص من البضائع المخزونة قبل ان يأتي على البضائع الجديدة ، لان هذه لها من جدتها ما يرغّب الناس فيها .

* * *

وتعرّض مخزننا للسرقات في الليل ، فاسندت اليّ امر حراسته . وفي احدى الليالي وانا ساهر في غرفتي سمعت ضجيجاً ، فنهضت وبادرت الى بندقيتي وصرخت من هناك ؟ ! بيد ان الضجيج ظل يشتدّ ، والحركة بقيت تقوى ، فقلت في نفسي قد يكون بعض الصبيان عملوا هذا ليختبروا شجاعتي ومدى خوفي . وشكرت الله عندما مرّت تلك الليلة بسلام وبدون حدوث شيء خطير .

وانتهى العام الذي اتفقت فيه مع المستر هيل على العمل كمتمرّن في مخزنه . وعند بداية السنة الجديدة اخبرني المدير انهم قرروا استخدامي للسنة الجديدة مقابل معاش سنوي قدره ٢٠٠ دولار . ففرحت لهذا النبأ وزدت

ثقة بنفسي . وبدأت اشعر بسعادتي في العمل الجديد ، وقلت سوف تكون هذه هوايتي بقية حياتي . وكنت آمل ان ابدأ تجارة على حسابي اذا ساعدتني الظروف .

ولم يترك والدي بعد موته لنا سوى المثال الصالح ، والاستقامة في العمل ، ولم يورثنا غير تلك المبادىء الرفيعة السامية . كذلك ترك لنا بعض الديون وراءه مما ترتب على والدتي تسديدها . وبوفاة والدي اصبحت زوجته المسؤولة عن ادارة شؤون مزرعته . واشار عليها المداينون ان تتنازل لهم عن المزرعة لكنها رفضت ذلك بإباء وقالت : سوف نعمل على تسديد هذه الديون بطرق شريفة . وقد ادلت بهذا التصريح وهي لا ترى طريقاً واضحاً امامها ، ولم تكن قد عالجت المشاكل المالية او حصلت على اختبارات في مثل هذه الشؤون ... غير ان والدتي كانت تعتمد على الله ، وتعيش بوحي ايمانها . فهي قد صممت ان تتخلص من الديون التي ورثتها عن والدي وكان لا بدَّ لها من تنفيذ ذلك مهما كلفها الامر .

* * *

وكان اول اجراء اتخذته هو تحويل قسم من المزرعة الى بستان للخضراوات . ثم بدأت تصنع خبزاً وتبيعه الى الجيران وسرعان ما تعامل معها الكثيرون لانهم رغبوا في اسداء العون لها . واقتنت ايضاً بقرة اخذت تحلبها وتبيع ما تفضل عنها من حليب . وكان اخي الاكبر يساعدها في العمل وفي تحمل بعض التبعات . واحترمها الناس لتصرفاتها الشريفة هذه . وكانت امي تقتصد كثيراً في المصارفات ليتسنى لها تسديد الديون المتراكمة

عليها ، وكانت تؤمن انه في استطاعتها ان تسدّد جميع الديون اذا ثابرت على سياستها في العمل والاقتصاد . واثلج صدرها نبأ تعييني للسنة الثالثة عند المستر هيل براتب سنوي قدره ٣٠٠ دولار .

وشاءت التقادير ان اكون الوحيد بين اخوتي الذي جنى مالاً وحصل على معاش . وكنت اجدّ واجتهد غير حاسب للتعب حساباً ، وساءت صحتي من كثرة اجهادي حتى فاجأني الطبيب ذات يوم قائلاً : ان حياتك ستكون عرضة للخطر اذ استمريت على هذا النهج من الحياة . واعلم ان مناخ هذه البلدة لا يوافق صحتك ، ونصيحتي لك ان تقضي وقتاً اكبر خارج البيت . وخشيت ان اكون قد استهدفت لداء السلّ فسألت الطبيب مستفسراً فاجاب : اخشى ان تكون هذه بدايته ... فعليك ان تتدبر للامر . وهدّ هذا التصريح صرح آمالي اذ شقّ عليّ ان اترك البيت وابتعد عن امي ...

وعرضت المسألة على والدتي ، واستشرتها في الامر فقالت : عليك ان تهتم بصحتك . واعلم ان الله لا يترك احداً من اولاده . اذهب الى الولايات الغربية حيث المناخ يؤاتيك وليكن ايمانك بالله قوياً ووطيداً . فبتُّ كئيباً لاني لم اكن لارغب في هجر امي وترك عملي عند المستر هيل لكن هكذا شاءت الاقدار ... وسمعت كلمات والدي تدوّي في اذني : ان جيم يستطيع ان يدبر امره بنفسه . فنفحت هذه الكلمات روح الرجاء في قلبي وتمنيت لو كان والدي حياً ليتحسس بنفسه اسف المستر هيل على تركي العمل عنده . وسلّمت لوالدتي ما كنت قد ادخرته من راتبي ،

وقصدت مدينة دنفر التي توقعت ان اجد عملاً فيها متزوداً بالرجاء والايمان .

وودعت والدتي ، وشاهدتها تطل من النافذة تنظر اليّ وانا ابارح تلك الديار . وشاهدت عبرات تسيل من مآقيها ، لكنها مسحت تلك الدموع واظهرت الابتسام لتشجعني . وركبت القطار وسرت على بركة الله متذكراً قول امي : ان الله لا يترك اولاده ...

اجل كنت عندذاك قد جاوزت سن الشباب . وها انا اخرج الى ميادين الحياة وليس لدي من معدات سوى ذلك الميراث الروحي الذي امدني به والدي ، فقد تركت بيت اهلي مزوداً برأسمال روحي ، وسرت في رحاب الدنيا الواسعة لاشق لي طريقاً جديداً وابنى لي مستقبلاً مضموناً ...

الفصل الرابع

أخذت اسعى للحياة الجديدة بعد ان ثبت لديّ ان الزراعة لا تواكب ميولي الفطرية ولا تنسجم مع مواهبي . فميدان عملي هو التجارة ، غير اني لم اكن قد اطلعت على القوانين الاقتصادية والفنون التجارية الحديثة ، سوى ما تعلمته من معاشرتي المستر هيل . لذلك كان لزاماً عليّ ان ادرس الناس فاتحسس حاجاتهم ورغباتهم واطلع على مناحي حياتهم فاعرف كيف اعاملهم واستفيد كتاجر لاستجيب لطلباتهم المتنوعة .

وكان طبيبي قد حذّرني بان ابتعد عن العمل التجاري الذي يفرض عليّ ملازمة المخزن والبقاء دائماً ضمن جدرانه ، لان حالتي الصحية كانت تستدعي العيش في الجو الطليق والتمتع بالهواء النقي . ولكن هل في اليد حيلة ... ؟ وانا لا املك شروى نقير ... ! ومن اين لي المال لاعيش ؟ ! فلا بدّ لي من ايجاد عمل مهما كان نوعه ...

استقليت ذات يوم احدى العربات البسيطة تاركاً بلدتي ، قاصداً مدينة دنفر . فهبطت تلك المدينة وانا حائر في امري لست اعرف اين استقرّ ... ! ولاحظ بعض المواطنين علي انني غريب هبطت بلدتهم اذ استهجنوا ان احمل معطفي على ذراعي وسط ذلك الطقس الحار . وسرت اقصد المركز التجاري عساني اجد عملاً عند احد التجار . وكنت قد حصلت على بعض كتب توصية من بعض اصحاب الشأن والنفوذ للاستفادة منها عند الضرورة . فعرضت خدماتي اولاً على احد اصحاب الحوانيت الكبيرة ، وقدمت اليه كتاب التوصية الذي احمله ، فتصفحه ببرود وفتور وقال لي : ليس لدي وقت لقراءة امثال هذه الرسائل . فمن فُطر على السرقة يستطيع ذلك ولست اعتقد ان هذه الرسائل تجعل حاملها مخلصاً لعمله او اميناً على الاموال والودائع .

* * *

وقمت ببعض المحاولات وقصدت عدة اماكن الى ان استطعت في النهاية ان اجد عملاً لي عند احدى الشركات . وقد تعهدوا لي بدفع ستة دولارات في الاسبوع ، ادفع منها اربعةً ونصف لمسكني وطعامي ، واوفر المتبقي منها . ولم اكن في حاجة الى ملابس جديدة ، لان الملابس التي في حوزتي كانت تكفيني . اما اولئك الذين بدأت اشتغل واياهم في المكتب فتطلعوا اليّ كرجل منافس لهم ، لذلك اخذوا يحسدونني وينسبون الي التطفل ، ومحاولة سلب موارد الرزق منهم .

لكن سقياً لوالدي الذي طعمني بمبادىء القاعدة الذهبية . فانا في قرارة نفسي كنت اتوق ان يعاملني الآخرون كما اعاملهم انا ، غير انني لاحظت ان تلك الامنية التي تتوق اليها نفوسنا لا تتحقق الا في عصور خيالية ذهبية بعيدة المنال .

وحدث ذات يوم ان لاحظت صنفاً من الجوارب للرجال يحمل سعرين . فقد كنت منهمكاً في البيع وشغوفاً به . فقلت ربما كان ذلك التسعير المزدوج قد وُضع سهواً او خطأ ، فلاراجعنّ المدير بذلك . وتوجهت الى المدير المسؤول وفاتحته بالامر ، فتطلع اليّ بسخط وقال : ان وضع الاسعار ليس من اختصاصك ... فتابع عملك والزم وظيفتك ، وبع بموجب الاسعار المعطاة لك ...

عدت عند ذاك بالذكرى الى ايام كنت اعمل فيها في حانوت المستر هيل . فقلت شتان بين هذا وذاك . واستيقظ ضميري فاذا بي اسمع نداءه يقول لي : لا فائدة من وجودك في مكان يسير بموجب هذه الخطط الملتوية ويتعامل بطرق غير شريفة . وللحال عدت الى المدير وطلبت منه ان يدفع لي ايجاري ومن ثمّ يصرفني . ولم اندم او اتحسر على تركي العمل في ذلك المتجر الذي لم يسر بموجب المبادىء الشريفة السامية . واحترت في امري ماذا اعمل ؟ ! فليس لدي رأسمال او خبرة فنية ... ؟ ! وها انا وسط مدينة كبيرة تتطلب اناساً مزودين بالمال ، او متمرسين على التجارة . فالافضل لي ترك مدينة دنفر والتفتيش عن عمل في مدينة اصغر اكون فيها اقرب الى الحياة الطبيعية البسيطة .

ولشدّ ما جذب انظاري اعلان كان معلقاً في احدى ساحات دنفر العمومية اشار الى حانوت جزار معروض للبيع في مدينة لونغمونت . وكانت لونغمونت تبعد اربعين ميلاً عن دنفر . فقلت هذه بادرة طيبة ، فلابدأن العمل بفتح حانوت لبيع اللحوم . وكانت لدي بعض الخبرة في تربية الدواجن اكتسبتها في الماضي ايام كنت اشرف على ادارة مزرعة والدي . وقلت اني اتفرغ لشراء الحيوانات المعدّة للذبح ، وانتدب شخصاً أسند اليه امر البيع ، والتعامل مع الزبائن . ورأيت ان هذا العمل يناسبني ويتمشى مع توصية الطبيب لي بان امارس عملاً في الهواء الطلق .

وكتبت لوالدتي عارضاً عليها هذا المشروع الجديد ، او طالباً منها ان تبعث اليَّ بما وفرته من مال كنت قد اودعتها اياه . فلبت امي طلبي وارسلت لي مبلغ ٣٠٠ دولار فاخذت هذا المبلغ وانطلقت بـه توّاً الى لونغمونت وهناك تفاوضت مع صاحب الحانوت وتمت الصفقة وابتعت الدكان منه . وللحال علقت اعلاناً على بابه اشرت فيه الى اسمي . ثم رسمت عليه رأس ثور اشارة الى انني سوف امارس بيع اللحوم فيه . واستأجرت جزاراً ليقوم بالعمل معي . وافادني هذا الجزار انه لا سبيل لاكتساب عملاء الفنادق واصحاب المؤسسات الكبيرة الا برشوتهم . والامر يسير اذا ما قدمنا زجاجة ويسكي للرجل الموكول له امر شراء الحاجيات كل اسبوع . وتذكرت للحال ما كان يصرح به والدي امامي عن النتائج السيئة التي يتركها المسكر في حياة من يتعاطونه ويدمنون عليه او يتعاملون به .

وقلت في نفسي ... لو كان والدي حياً لما وافق على استعمال

الرشوة . وكان لا بدَّ له من الاستياء اذا عرف انني ارشو اصحاب الفنادق بغية الحصول على قليل من الربح المادي . فالافضل لي ان اكتسب العملاء عن طريق الاستقامة . لكن الواقع لم يتمشَ مع المثال ... فلم انجح بمشروعي هذا ... ورويداً رويداً اصبحت اشعر انني اخفقت في هـذا العمل ، بيد انني بتّ مطمئناً انني بالرغم من تكبدي بعض الخسائر المادية لن اتنازل عن مبادئي ، لقاء ربح مادي خسيس .

وتركت حانوت الجزار وبـدأت افتش عن عمل آخر في مدينة لونغمونت . ولم اتطلع الى قيمة الراتب انما رغبت الحصول على عمل مهما كان نوعه لاضمن لي مورداً للارتزاق . وسألت احد اصحاب الحوانيت الكبيرة كي يستخدمني فاجابني انه لديه الكفاية من الموظفين ، غير ان احدهم كان طريح الفراش فعرض عليَّ ان اعمل بدلاً منـه ريثما يتعافى ، ويعود الى مزاولة عمله . فقبلت بهذه الوظيفة الموقتة آملاً بان يفتح لي المجـال لاظهار مواهبي واكتساب ثقة مديري فاضمن الاستمرار في هذا العمل الجديد .

* * *

وسررت بهذه الفرصة التي اتاحت لي التعامل مع الناس عن طريق البيع . ولم اكن اجد فرقاً بين معاملة المستر كالاهام – صاحب هـذا المتجر في لونغمونت – وبين المستر هيل الذي كنت اشتغل عنده في هاملتون وبدأت اعمل بجد ونشاط ، واظهر مهارتي في البيع والشراء . وعندما عاد الموظف المريض لمزاولة عمله عرض علي المستر كالاهام وظيفة في احد مخازنهم الفرعية خارج لونغمونت ، فقبلت بذلك عن طيبة خاطر . وقال لي المستر

كالاهام : ان شريكي المستر جونسون الذي ستعمل عنده ، كان في بادىء الامر مستخدماً على شاكلتك . وعندما توسّع عملي فكّرت بفتح فرع لي في مدينة ايفنستون ، بيد انني لم ارسل المستر جونسون كموظف لذلك الفرع بل اقمته شريكاً لي في العمل . واني اراه الآن بحاجة الى من يساعده ، فكن انت خير مساعد له .

* * *

وهنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياتي ، ففي ٢٩ اذار عام ١٨٩٩ استخدمت عند المستر جونسون في مدينة ايفنستون لقاء ٥٠ دولاراً في الشهر . وهذا مبلغ كبير اذا ما قورن بما كنت اتقاضاه عند المستر هيل . وشعرت الآن ان ابواب الحياة الجديدة قد انفتحت امامي . وللحال ركّزت جهودي الى امرين : الاول الى التعرف الى شتى انواع البضائع . والثاني الى خدمة الزبائن الى اقصى الحدود . ولا انكر انني استفدت كثيراً من خبرة المستر جونسون الذي كان دوماً يرشدني الى خير الطرق للتعامل مع الناس ومسايرتهم .

وكنت دائماً افكّر في فتح محل مستقل على حسابي لكن مشكلتي كانت عدم توفّر المال الكافي لذلك انصرفت الى التوفير علني استطيع استثمار ما اوفره ، جاعلاً هذه المبالغ الصغيرة نواة لراسمال ابدأ به عملي المستقل . وصدف ان تعرفت على سيدة من اهالي لونغمونت رغبت في الزواج منها . لكن الزواج يتطلب زيادة الدخل لضمان حياة عائلية هنيئة . لذلك اصبحت اتفانى في عملي واقضي اوقات فراغي في العمل

ولاحظ مديري مني هذا الجد المتواصل ، فكان عندما يحين موعد اغلاق الحانوت أرى آخر من يتركه وينصرف منه .

ولما توفر لدي مئة دولار قصدت لونغمونت حيث ارتبطت بالآنسة برتا هس بالرباط المقدس . فشعرت بعد الزواج ان لي في شخص زوجتي شريكاً في الحياة يشاطرني تحمّل الاعباء والمسؤوليات . ولا بدّ من الاعتراف انني وجدت في زوجتي شريكة حقيقة لحياتي ، شاطرتني مسرات الحياة وصعوباتها وشعرت معي في العسر واليسر ، وزودتني بارائها ونصائحها عند الملمات . وكثيراً ما ارشدتني الى امور خفيت عليّ كانت تراها هي من ناحيتها النسائية الخاصة .

* * *

وذات يوم استدعاني رئيس بلدية ايفنستون وطلب مني ان اشترك واياه في ادارة متجر في تلك المدينة . وقد استعدّ ان يدفع لي مئة دولار شهرياً . ففكرت في هذا العرض ، ولم يكن قد مرّ علي اكثر من سنة وانا اشتغل مع شركة كالاهام وجونسون فقلت في نفسي ... ان فتح حانوت جديد بالقرب من مخزن المستر جونسون لا بدّ ان يضارب عليه وينافسه ويؤثر على اعماله . لذلك رغبت قبل ان اعطي جواباً لرئيس البلدية ان استشير المستر جونسون في هذه القضية .

وعندما عاد المستر جونسون من جولته في الولايات الشرقية اطلعته على عرض رئيس البلدية لي ، فلم يضع اية عثرة في طريقي بل اخبرني عن

الخطط الجديدة التي وضعها مع شريكه للتوسع والامتداد . وقال : اننا في حاجة الى رجال امناء يستطيعون ادارة هذه الاعمال التجارية . فصممت ان اظلّ اعمل معه لان بقائي هنا كان احسن لمستقبلي واضمن لنجاحي .

وعُرض علي ايضاً مركزاً في احدى المدن الكبيرة ، فآثرت ان اكون في مدينة صغيرة ليتسنى لي الاحتكاك مع الاهلين . فاقترح علي العمل في مدينة كيمر . فذهبت لزيارتها واعجبت بها ، وبعدها قبلت ان اكون احد الشركاء في ذلك الفرع الجديد . وفُرض علي ان اساهم بمبلغ ٢٠٠٠ دولار ولم اكن عند ذاك قد وفرت سوى مبلغ ٥٠٠ دولار . ورضي كلٌ من المستر جونسون وكالاهام ان يقرضاني المبلغ المتبقي علي مقابل دفعي فائدة قدرها ٨٪ . واتصلت باحد المصارف وطلبت من المسؤولين اقراضي بعض المال فاستعدّوا لاداتي المبلغ بفائدة قدرها ٦٪ . فاخبرت شريكيّ بانني استدنت من المصرف ما هو مطلوب مني فقالا : اننا كنا على استعداد لاقراضك المال فلماذا التجأت الى المصرف ... ؟ أجبت اني بهذا اوفر ٢٪ . وهذا المبلغ الضئيل المتوفر له قيمة عندي لانه متى اخذنا على عاتقنا البداية بمشروع كبير فالاثنان بالمئة تعمل عملها العظيم ...

وفي احد ايام نيسان عام ١٩٠٢ قرأ المارة اعلاناً عن مخزن القاعدة الذهبية معلقاً فوق احد الحوانيت في مدينة كيمر . وكأننا اخترنا هذا الاسم خصيصاً ليذكرنا بمبادىء والدي التي عاش بموجبها . وكان هذا المتجر يخص الشركاء كالاهان وجونسون وبني . وقد اتفق الشركاء على جعل القاعدة الذهبية اساساً لمعاملاتهم التجارية ، وفي صميم شركتهم الجديدة .

لقد اخذ الناس القاعدة الذهبية عن المسيح يوم وردت في عظته الشهيرة على الجبل . وقلّما عرفوا عن بداءة هذه القاعدة المستعملة في احد عشر ديناً من اديان العالم . فبعض الديانات سبقت المسيح الى هذه القاعدة انما تُرك للسيد له المجد ان يضعها في صيغتها النهائية ويطبعها بطابعها الكامل . ولا غرابة فالناس لمئات السنين فتنتهم هذه القاعدة الذهبية ،

واستهوتهم كلماتها ، لكنهم كثيراً ما نظروا اليها كقاعدة مثالية بعيدة عن حياة الواقع .

وكان الكثيرون يقولون : هذه قاعدة مثالية غير انَّ تطبيقها متعذّر وضرب من المحال . الا اذا كان ذلك على نطاق ضيق ومحدود ... اذ في الوسع ممارستها بين الاصدقاء والاقرباء والجيران ولكن يتعذر تطبيقها بين عامة الناس ، وفي شتى ميادين الحياة ... غير ان تقدم الحضارة واتساع افاق الحياة جعل هذه القاعدة الذهبية تبرز ثانية الى ميادين الحياة وتحتم على الناس جعلها اساساً لمعاملاتهم ومرجعاً لتنظيم علاقاتهم بعضهم مع بعض .

* * *

لقد وضع الناس حداً يفصل بين الحياة العملية والحياة الدينية . ظانين ان الحياة الدينية تقتصر على ايام الآحاد واوقات العبادة وليس لها ثمة علاقة بالحياة اليومية وبالاشغال العادية . فالتجارة في زعمهم عمل يمت الى امور العالم ، في حين ان الصلاة والعبادة هي امر سماوي . هذه كانت نظرات الاكثرية من الناس في الماضي . اما الواقع الصحيح فهو انه لا حدود تفصل بين هاتين الناحيتين من نواحي الحياة .

وعندما اتخذت هذه القاعدة شعاراً لمحلي التجاري ثبّتُ عقيدتي من جديد بمبادىء سامية درجت عليها وترعرعت في احضانها . فانا عندما فتحت عيني للدنيا واستقبلت نور الحياة وجدت والديّ ينشئانني على معرفة هذه القاعدة الثمينة ويلزمانني على اتباعها وممارستها . فقد علّماني ان الجأ الى

الصلاة قبل المباشرة باي عمل من الاعمال . وهكذا فقد سرت على ما ربياني عليه منذ صغري ، وها انا الان قبل ان اباشر عملي كل صباح اطلب ارشاد الله ، واصلّي من اجل الحصول على نعمته وبركته ...

* * *

اجل سرنا في هذا المشروع وقلوبنا عامرة بالايمان وبروح الرجاء . ووزعنا عند افتتاح محلنا التجاري اعلانات على جميع العمال الذين يعملون في تلك الناحية . وجعلنا مواعيد عملنا تواكب اوقات العمال وهم في طريقهم الى مراكز عملهم او عند أوبتهم الى بيوتهم . ولم نفكر بادىء الامر في اقفال حانوتنا يوم الاحد ، لان ذلك اليوم كان موسم بيع لنا اذ تردّد علينا ايام الآحاد عدد كبير من العمال ومن تجار المواشي للحصول على حاجياتهم ...

ولم تكن المبيعات في البدء كثيرة ، لان ما حصلنا عليه كان قطعاً نقدية صغيرة . وكنت بدوري اهتم كثيراً لاجعل هذا العمل التجاري ناجحاً . ولم اعبأ بشيء او اهتمّ لاي وازع او رادع . وكنت اقول لمن يعاتبني ان المسيح نفسه كان يصنع خيراً ايام السبوت . ونهجنا على ملاطفة العملاء ومعاملتهم المعاملة الطيبة الشريفة . فاخذنا نعامل العمال بلطف وبصبر ، ونحاول خدمتهم وتلبية حاجاتهم . وقدّمنا اليهم اسعاراً متهاودة ، وبالتالي فقد عاملناهم معاملة القريب لقريبه .

وتسرّب الى بعض المواطنين اعتقاد انني من عشاق المال ، فكنت اسمعهم يتهامسون بذلك ويشيرون اليّ كعابد مال كلما رأوني امرّ على مقربة

منهم . انا لا انكر مطلقاً انني كرّست نفسي وبذلت جهودي لزيادة مدخول محلنا التجاري ، وتحسين احوالنا المالية ، غير انني استطيع ان اصرّح جهاراً انني لم اسعَ مرّة واحدة للحصول على المال بطرق غير مشروعة او شريفة . فقد كنت اشتغل من الصبح الى المساء ، وابذل الجهود ، واعصر افكاري سعياً وراء تنظيم العمل وازدهاره . ولا انكر فضل زوجتي علي فقد كانت مستشاراً اميناً لي ، وعوناً كبيراً في انجاح مشاريعنا وازدهار اعمالنا ...

* * *

وادركت عند ذاك ان النجاح في الحياة هو عمل من اعمال الروح . فاولئك الذين يحبون عملهم ويجدون لذة فيه ينجحون . والفرق عظيم بين من ينتظر موعد انتهاء العمل ، وبين من لا يشعر كيف تمرّ ساعات العمل اللذيذة ... كذلك آمنت بفوائد الاقتصاد وبقيمة الامور الصغيرة في الحياة . ففي ميدان التجارة نجد للصناديق الفارغة والورق المستعمل قيمتها الخاصة التي وجب ان لا يستهان بها . وتعلمت من والدي وانا في المزرعة ان اعير انتباهي الى سنبلة من القمح وان التفت بعناية الى بعض من قشور البطاطا – فلا استخف بهذه الامور البسيطة والاشياء النافلة . وسرعان ما اخذت على عاتقي ان اعلم هذا الدرس لمستخدميّ طالباً منهم ان يقدروا هذه الامور حق قدرها .

وانبثقت لنا فكرة التوسع ، وفتح فروع جديدة في المراكز النائية . ودفعنا الى ذلك النجاح الذي لمسناه في محلنا التجاري الجديد

والارباح التي بدأت تنهال علينا فيه . وللحال باشرنا بفتح فرعين في مدينتين مجاورتين مما زاد من واجباتي وعظم مسؤولياتي . وأسند الي امر اختيار اصلح المستخدمين وتدريبهم على العمل ، بالاضافة الى الاشراف على اعمال الفروع في المراكز الجديدة . وهذا مما لا ريب فيه اشغل معظم اوقاتي واثقل كاهلي . ونهجت على خطة موحدة للاستخدام ، فما كنت استخدم في محلاتنا التجارية احداً لا يؤمن بالله . ولم اسأل طالب وظيفة عن مذهبه او طائفته بل كنت ارفض استخدام من كان ملحداً وغير مؤمن بالله خالق ومدبّر لهذا الوجود .

* * *

وعرض عليّ شريكاي عام ١٩٠٧ ان ابتاع حصصها في المحلات التجارية الثلاثة لقاء مبلغ ٣٠ الف دولار . وقبلت بالعرض الا انني لم ادفع لهما المبلغ دفعة واحدة خشية ان تتضرّر تجارتي بتجريدي من النقد الضروري لذلك اعطيتهم صكاً بموجبه اتعهد بدفع ما تبقى عليّ من المبلغ مضيفاً اليه فائدة قدرها ٨٪ . وغبطت نفسي لانه بعد مضي ١٢ سنة من دخولي ميدان التجارة كموظف بسيط وجدت نفسي مستقلاً والمالك الوحيد لهذه المحلات التجارية الثلاثة .

وواكبني السعد بان رزقني الله ولدين كانا قرة عينيّ . وابتعت لعائلتي بيتاً لسكنها تخلصاً من دفع الايجارات الباهظة ... وداومت على عملي بحماس ونشاط محاولاً ان ابث في قلوب المستخدمين الذين يعملون معي روح الخدمة ومحبة العمل . وحدث ان جاءني شاب ذات يوم وخاطبني

قائلًا : انك يا مستر بني صاحب القاعدة الذهبية الذي صيته بدأ يملأ الآفاق . ورغبتي ان ترشدني الى الطرق التي تمكنني من النجاح فاسير على منوالك وانهج نهجك فيتسنى لي النجاح في هذه الحياة . اجبته عليك باتباع النصائح التالية :

اولاً : طبق المبادىء المسيحية في شتى مناحي عملك . وواظب على العمل الجدي المنتج فتشعر في النهاية انك اصبحت في وضع يمكنك من الاتيان بامور عجيبة .

ثانياً : انك تضمن النجاح اذا تمشيت بموجب القاعدة الذهبية في كل مسالك حياتك .

ثالثاً : تعوّد روح الخدمة وملاطفة الزبائن واظهار روح العطف لهم .

رابعاً : ليكن هدفك دوماً كتاجر ان تبيع كثيراً . وفي عُرف التجارة من يبيع اكثر يربح اكثر .

ولا بدّ ان يكون هذا الشاب قد استفاد من هذه النصائح ، واني اعتقد ان هذه المبادىء التي اوردتها في وسعها ان تؤثر على حياة كل شاب ناشىء وتضمن له النجاح في مستقبل حياته . وسرت على خطة مراقبة موظفيّ وعمّالي – لا لاتجسس عليهم – بل لاوجههم التوجيه الصالح في الحياة ولاعودهم العوائد الطيبة المفيدة . وكنت دائماً اميل الى تسجيل اسماء من توسمت فيهم الكفاءة والقدرة ، آملًا بان أُسند اليهم بعض الوظائف المسؤولة جاعلًا اياهم في النهاية شركائي في المراكز الجديدة والفروع الناشئة . وكل

ما استطيع ان اقوله اننا عملنا جهدنا لجعل القاعدة الذهبية تنطبق في حياتنا العملية وتسيطر على شتى مناحي اعمالنا .

* * *

وكتب لي النجاح في الميدان التجاري وزادت مواردي وتحسنت احوالي المادية بيد انني عندما تفحصت نفسي وجدت انني اعيش على راسمال روحي ضئيل . فقد اعتمدت على ما ورثته من ميراث ادبي عن والدي ، وما زودني به من زاد روحي قبل وفاته . واعتقدت عندذاك انه يكفي للانسان ان يكون مستقيماً في معاملاته ، وان يطبق القاعدة الذهبية في مسالك عيشه متجرداً عن العقائد والايمان . انني كنت اؤمن بالمسيحية العملية دون ان اعير اي التفات للامور العقائدية . واحتجت الى زمن طويل قبل ان ادركت ان سياستي هذه كانت خاطئة ، وانّ ما بدا لي انه كافٍ لحياتنا ان هو أقل بكثير مما علمنا اياه السيد المسيح . فايماني بالفلسفة العملية لم يكن ليغني عن ايماني بشخص المسيح كمخلص وفادٍ ...

الفصل السادس

برزت عندي عقيدة رسخت فيّ وهي انه في الوسع ربط القاعدة الذهبية بالاعمال التجارية ، والحياة العملية . وقد مهّد لهذا الاعتقاد ما غرسه والدي فيّ منذ نعومة اظفاري ، وما اوضحه امامي من امثلة ناطقة في اعماله . فقد كان يتعاطى عملين مختلفين ، واستطاع هو بدوره ان يوفق بينهما . انه كان مزارعاً وواعظاً في آن واحد – يحرث الارض ويزرعها ، وفي الوقت ذاته كان يعدّ المواعظ ويتولى الخدمة في الكنيسة . ولم يجد صعوبة في تطبيق القاعدة الذهبية في الحالتين ... اذ ما قيمة هذه القاعدة لو اقتصرت على ايام الآحاد وظلت بعيدة عن الحياة الواقعية العملية في الايام الاخرى .

وصار همي الاكبر انتقاء المستخدمين للعمل في محلاتنا التجارية

وتدريبهم للعيش بموجب هذه القاعدة الذهبية . ولست اشك في ان الكثرة من الناس تعلموا هذه القاعدة نظرياً ... غير انه بقي عليهم ان يمارسوها عملياً ويضعوها موضع التنفيذ . وكنت اهدف ان ابثّ في المستخدمين العاملين معنا روح الخدمة والتضحية لان المقياس الحقيقي لنجاح اية مؤسسة هو من طريق خدمة الآخرين وتوفير اسباب الراحة للعملاء .

* * *

والتقيت برجل توثقت عرى الصداقة بيننا ، وظل على اتصال معي طيلة نصف قرن . وقد تردّد هذا الرجل بادىء الامر في الاستخدام عندي بسبب تشديدي على تطبيق القاعدة الذهبية . ولكني افهمته ان امكانيات كثيرة تنتظره ، وتنتظر امثاله . فحبل الفرص طويل وفي الوسع مدّه اكثر فاكثر . بيد ان الاستفادة من تلك الامكانيات تتوقف على ارادة الشخص ومدى استعداده لاغتنام الفرص وللتقدم والنجاح .

واستخدمت المستر سام اخيراً ، وجعلته يمارس البيع في محلنا التجاري ، فاذا به يظهر مقدرة فائقة في البيع وفي اكتساب الاصدقاء . ولاحظته كيف كان ملتذاً في عمله ، يعشقه ويهواه . وكأنه صار يمثل الدور الذي مثلته انا في اولى مراحل حياتي العملية . وحسده زملاؤه وتطلعوا اليه بعين الغيرة لانه اخذ يتفوق عليهم الا انه لم يهتم لتصرفاتهم النابية بل ظلّ يعمل ويجاهد ويسعى وراء النجاح . وشملته بلفتة كريمة وقدّمته على اقرانه ، لاني توسمت فيه خيراً ونظرت اليه كشريك المستقبل .

وفي النهاية عرضت عليه ان يصبح شريكاً لنا في احد الفروع التي انشأناها فقبل المستر سام هذا العرض .

* * *

وكنت اؤمن بخطة المستر كالاهان في اشراك كبار المستخدمين في العمل . فقد سار حضرته على نهج تدريب مستخدمين ممتازين . ثم بعد ان يختبرهم كان يختار افضلهم شريكاً له في فروعه الجديدة . ولا غرابة فقد كان كل من الفريقين ، يستفيد من هـذا العمل لان المنفعة كانت مشتركة . ولكن ليحترس صاحب الشركـة من اسناد وظائف مسؤولة لمستخدمين لم يختبرهم ولم يتأكد من كفاءتهم . واعتقد الكثيرون عند ذاك انه من المتعذر عليهم ان يكونوا مسيحيين واصحاب اموال في آن واحد . بيد انني اوضحت لهم عملياً انه في الميسور الجمع بين هذين الامرين اذ من اليسير التوفيق بين مطالب الحياة الادبية وبين مقتضيات الحياة العملية .

ولا بـدّ من الاعتراف بانني لم اكرّس وقتاً كافياً لله ، مع انني كنت دوماً اشعر ان رحمته تشملني ، وبيمنه ترعى فروع شركتنا . وكنت لا اهتم بالصلاة الطقسية لاني لم اعتقد بفاعليتها او بتأثيرها . فالصلاة الخارجة من الشفاه لا تجدي نفعاً . وان كنا بحاجة الى صلاة فهي تلك التي تنبع من اعماق القلوب وترتفع في كل الاوقات . وصلوات مثل هذه تصل الى الله ولو كانت الشفاه مغلقة والكلام غير مسموع . ولست اقصد التقليل من اهمية الصلاة المكتوبة لان مثل هذه توطد علاقاتنا بالله انما كنت اهدف لاشاعة الصلوات المنبعثة عن احساس داخلي وتيقظ روحي .

ولشد ما اعتقد البعض ان التاجر لا ينجح ان لم يعتد الكذب اما انا فبالرغم من كوني تاجراً فاني تعودت ان اقول الصدق ، واعامل الزبائن باستقامة . وهذا صعب على من يتعاطون مهنة التجارة لان التاجر يعرف اموراً لا يعرفها الشاري . وكثيراً ما يحاول اخفاءها عنه او خداعه بها ، لان ذلك من مصلحته ، الا انني تمشياً مع القاعدة الذهبية ورغبة في تنفيذها كنت لا اخفي على الزبائن شيئاً بل اقول الصدق لهم ولو كان ذلك ضاراً بمصلحتي . فاذا عرضت عليهم صنفاً جيداً من البضائع ترتب ان يكون المعروض صنفاً ممتازاً لاني آمنت في قرارة نفسي ان الاستقامة هي مفتاح النجاح . وما كان هدف شركة القاعدة الذهبية اضعاف روح الاستقامة بل كان جلّ ما نسعى اليه هو تنميتها واظهارها باقوى مظاهرها .

* * *

ونهجت على خطة اشراك كل مستخدم توفرت لديه الكفايات وبعض المال ليساهم في ثلث راسمال المحل الجديد . وكنت افرض على ذلك الشريك الجديد ان يدرّب احداً من مستخدميه تدريباً كاملاً ليتسنى له بدوره ان يصبح شريكاً مسؤولاً في المستقبل . وهذه عين الخطة التي تبعها شريكاي السابقان المستر كالاهان والمستر جونسون . ونزحت عام ١٩٠٩ الى « سولت ليك ستي » مع زوجتي وولدي ، آملاً بفتح مركز رئيسي في تلك المدينة يستطيع ان يموّن باقي الفروع بما يحتاجون اليه من بضائع . وفتحت هذه المدينة الكبيرة امامي افاقاً جديدة للعمل ، اذ اتصلت بالمصارف الكبيرة وتعرفت عليها وفتحت حسابات لي فيها .

وعندما كبر ولداي اخذا يترددان على احدى المدارس الاحدية وذهبت مرّة مع عائلتي الى الكنيسة التي كان يرعاها الدكتور القس فرنسيس شورت – وكانت الكنيسة الانجيلية الكبرى في تلك المدينة . ولما جاء دور جمع التقدمات وضعت شكاً في الصينية اذ لم اكن احمل قطعاً من النقد الصغير . ولاحظ القس ان صاحب الشك رجل غريب ، فدفعه هذا لزيارتنا ، وكان لتلك الزيارات اثر كبير في نفوسنا حملنا الى الاكثار من الذهاب الى كنيسته . وكنت اجد في مواعظه ما ينعش روحي ويروي تعطشي . ومع تبادل الزيارات ، وكثرة التردد الى الكنيسة توثقت عرى الصداقة بيننا وبين هذا القس الوقور .

وكانت التجارة تشغل بالي ، وكنت منصرفاً الى انجاح شركتي . وهذا ما حال دون انضمامي الى عضوية الكنيسة – بالاضافة الى ما كنت اراه من بعض المتنفذين انهم انما ينضمون الى احدى الكنائس ليخدموا مصالحهم الخاصة . وقد أطلعتُ المستر شورت على ما يحول دون انضمامي انضماماً رسمياً الى الكنيسة وبالحقيقة فان الفروع التجارية العديدة التي كنت اديرها كانت تستنزف جهودي واوقاتي . ووصلت هذه الفروع المتعددة الذروة في الازدهار عام ١٩١٠ ، وكان منوطاً بي ان اتفقدها واعمل على دوام تقدمها وازدهارها .

* * *

وفكرت في ذلك العام الذي شعرت فيه ان اعمالنا دخلت في مرحلة الاستقرار ان اقوم مع زوجتي برحلة الى اوربا . وكان الطبيب قد نصح

زوجتي ان تستأصل اللوزتين قبل ان تقدم على هذه السفرة . وحدث ان اضطررت ان اسافر في مهمة مستعجلة ، ونصحت زوجتي ان تتريث فلا تقدم على اجراء العملية حتى اعود . ولكنها رأت ان تنتهز تلك الفرصة السانحة ، وتستفيد من الوقت فتجري العملية اثناء غيابي . وهكذا وجدتها قد نفذت فكرتها واستأصلت لوزتيها . وبعد ان تركت المستشفى عادت الى البيت مشياً على اقدامها - والسماء تسكب امطاراً شديدة ، ومن فرط حرصها على المال لم تشأ ان تستأجر عربة توصلها الى البيت . وما هي الا عشية وضحاها حتى اصيبت بزكام شديد تحول بسرعة فائقة الى التهاب في الرئتين .

وما ان رجعت من سفرتي حتى وجدت زوجتي في ساعاتها الاخيرة . وفارقت المسكينة الحياة في اليوم الثاني من عيد الميلاد لعام ١٩١٠ . وشعرت عندذاك ان الارض اخذت تميد تحت قدمي ، وان دنيا احلامي قد توارت ، وقصور سعادتي قد تحطمت . وفي وسط محنتي اخذت اسائل نفسي : ما هي غايتنا من الحياة ؟ ! هل هي جمع المال ؟ ! وما فائدة تلك الاموال المذخرة ؟ ! وما هي قيمتها ما دامت زوجتي المسكينة لم تعرف كيف تستفيد منها ... ! وشعرت في تلك الساعة ان الحياة تسخر مني ... وان الله يهزأ بي ...

وعندما نكبت في زوجتي لم الجأ الى الصلاة لاني لم اعتد الالتجاء الى الله عند الملمّات . وكنت اعتقد ان النـاس يصلّون لدفع الخوف عنهم ، وللفرار من تحمل المسؤوليات بانفسهم . فقـد تعودت الاعتماد على نفسي محاولاً حل مشكلاتي بذاتي . ولم اجد ثمة حاجة للالتجاء الى قوى خارجية او طلب العون من العلاء . وتراني في محنتي هذه لم اكن قادراً ان اتغلّب على احزاني . وكان وقع المصيبة ثقيلاً عليّ مما انساني اتراني ، وجعل الدنيا تسودّ امام ناظري .

اجـل لم اعد ارى النواحي المشرقة المضيئة من الحيـاة . وهـل لا يستحق الله شكري على حياة والدتي وزوجتي طيلة السنين الغابرة ... ؟! انما المصيبة انستني صوابي ... وعدم رسوخ ايماني ابقاني حائراً مضطرباً ... وكان لا بدّ لي من اعادة تنظيم خططي لان ولديّ كانا بعـدُ صغيرين .

ووضعي العتيد تطلب مني وضع برنامج جديد يخالف نهج الحياة الذي اعتدت عليه في الماضي .

وتوثقت عرى الصداقة بيني وبين القس شورت ، الذي ما برح يتردّد علي ويزورني . وبرقت له ذات يوم خاطرة لاحياء ذكرى زوجتي الراحلة فاقترح علي رصد بعض المال للمشاريع الخيرية – وكنت بطبيعتي اميل لمساعدة مثل هذه المشاريع الانسانية – فلاقت هذه الفكرة من نفسي رضى وقبولاً .

* * *

ولشدّ ما ازدهرت محلاتنا التجارية ، واخذت تتقدم باطراد ، وقد تسرّب شك عند فريق من الناس ان ازدهار تجارتنا كان نتيجة لالتجائنا لطرق عالمية ملتوية ، وابتعادنا عن القاعدة الذهبية . بيد اننا تركنا للاعمال ان تنطق ، وللزمان ان يصدر حكمه علينا . وهكذا تأكد الجميع من حسن معاملتنا ورفعة مبادئنا ، فزادت ثقتهم بنا . وما زلت اعتقد يقيناً ان الانسان اذا استمر على تطبيق مبدأ سام كمبدأ القاعدة الذهبية فانه لا بدّ بان يشعر بقوة عظيمة تحركه وتدفعه الى الامام .

وعلى اثر وفاة زوجتي فقدت شيئاً من حماستي وغيرتي . وكانت الافكار تتزاحم على مخيلتي بيد انني بت حيراناً ... ولم استطع اتخاذ قرار حاسم لمستقبلي ... ويلجأ البعض عند المصائب الى الادمان على الخمر ، عساهم يستطيعون دفن احزانهم في جرعاته ، اما انا فحتى ذلك التاريخ لم

اكن لالتفت للمشروبات الروحية لان والدي كان قد حذرنا من عواقبها ، وكان مثالاً لنا في عدم استعمالها . الا ان الحزن غمرني ، والالم حزّ في نفسي ولم استطع احتمال مصابي ، لذلك اقدمت على تعاطي الخمر عساي انسى بعض همومي واخفف عن طريق نفسي شيئاً من احزاني .

* * *

وحدثتني نفسي ان اسافر الى نيويورك لقضاء بعض الاشغال وفكّرت انه بابتعادي عن مكان ذكرياتي الاليمة انسى مصابي ، واحصل على راحتي . وما اكثر ما وقفت فوق احد الجسور التي تنتصب فوق ذلك النهر الذي يجري وسط تلك المدينة ، فنظرت بعين الغيرة الى الماء المنساب تحته وتمنيت لو كنت قطرة من قطراته ... ! وما اكثر ما كنت اذرع شوارع المدينة الرحيبة فانهك قواي ، واتعب رجلي ، فاعود مساء الى سريري متعباً عساي انام نوماً هادئاً مريحاً ... !

وصدف ذات يوم وانا اتجول في نيويورك ان سمعت اصواتاً تنبعث من مركز لجيش الخلاص . فاصغيت فاذا شاهد مؤمن امين يردّد هذه الجملة : يسوع حبيب روحي . وكان هذا الشاهد يعلن امام الجماهير كيف ان المسيح انتشله من الهلاك وخلقه خلقاً جديداً ، وسمعته يعترف ويقول : كنت اسكر واقامر ، وتماديت في هذه الموبقات حتى تدهورت حياتي وخسرت جميع اصدقائي . وفي النهاية تركتني عائلتي فاصبحت منبوذاً من الجميع . ولكن شكراً لله الذي بعث بفرقة من جيش الخلاص لانقاذي من الهلاك . لقد حملوني وانا فاقد الوعي من شدة سكري الى احد مراكزهم وهناك

اخذت استمع الى بشارة الانجيل . وبفضل كرازتهم اهتديت الى الحياة الجديدة . ثم تابع قوله : واشكر ربي الان لاني اصبحت صاحب حانوت للسجاد ، واني على استعداد ان اشهد دائماً بما عمله الرب في حياتي ... وتأثرت جداً من شهادة هذا الرجل وقلت حقاً ان رحمة الله واسعة لا حدّ لها ، وانه لا نهاية لنعم القدير ومراحمه ...

* * *

وبالرغم من ازدياد مداخيلنا ، وتوسع اعمالنا فاني لم أحظَ بالسلام الداخلي . وكان عليَّ قبل كل شيء ان اتصالح مع نفسي واسعى وراء هدف اسمى من المادة ينيلني راحتي وطمأنينة بالي . اجل ان ازدياد الطلب على بضائعنا حتّم علينا السعي لزيادة مستخدمينا ، وكان شغلي الشاغل هو اعداد رجال امينين ومستخدمين يعتمد على استقامتهم . وكنت اجد دائماً تشجيعاً في العبارة التي نطق بها والدي على مسامعي وانا صغير عندما قال : ان جيم يستطيع ان يشق طريقه في الحياة ، وانا معجب بمسلكه وبالطريق التي يسير فيها ...

وما ان استقبلنا عام ١٩١٢ الا ولشركتنا ٣٤ فرعاً منتشرة في ثماني ولايات . وكنت اسير على خطة اشراك المدراء في هذه الفروع ، والاصرار دوماً على انتقاء مستخدمين اكفاء للعمل ، لاني اعتقدت ان النجاح يتوقف على نشاط واستقامة هؤلاء المستخدمين . وبعد اختبار طويل استطعت ان ادرك اسرار النجاح . وها انا اضع بعض الخطوط الرئيسية للنجاح . وهذه المبادىء وان كانت قديمة مثل القاعدة الذهبية الا انها ذات

اهمية كبيرة للزمان الحاضر والمستقبل ...

اولاً : استطيع ان اقول ان في طليعة المبادىء التي يتطلبها النجاح هو **الاستعداد** وعدم الارتجال فكل صاحب مهنة يجب ان يلمّ بمهنته وان يعرف اكثر من غيره عن العمل الذي يرغب ان يمارسه .

ثانياً : ويلي الاستعداد **العمل الجدي** . فالنجاح لا يأتي عن طريق الصدفة والحظ بل عن طريق الجد والكد وبذل النفس والتضحية .

ثالثاً : **الامانة** وهي تأتي في المرتبة الثالثة ، وليس الامانة عدم السرقة فقط بل من مقتضياتها ايضاً بذل اقصى الجهود والاستفادة من جميع الامكانيات والفرص السانحة .

رابعاً : ولا بدّ لضمان النجاح من **اكتساب ثقة الناس** . فخير الناجحين من تحمّل المسؤوليات ، واعتمد على نفسه ، واكتسب ثقة مواطنيه وعملائه .

خامساً : ولا يغرب عن بالنا ان **الروح** هي في قرارة كل نجاح . وآية الكتاب تقول : « لان الحرف يقتل ولكن الروح يحيي ... » ولا مراء فهذه ابلغ حكمة نطق بها اعظم حكيم عاش في دنيانا . ولا مشاحة فالروح هي التي دفعت الرواد الميامين ان يجازفوا ويخاطروا ، وهي التي تثبت الايمان في القلوب ، وتوقظ شعلة الخلق والابداع في نفوس الكثيرين .

سادساً : واهمّ مبدأ للنجاح هو **تطبيق القاعدة الذهبية** . فقد اقتصر الناس في الماضي على تعلّم هذه القاعدة وحفظها عن ظهر قلوبهم

بيد انه قد حان الوقت الآن لتطبيقها ووضعها موضع التنفيذ في حياتهم . ولا تتعدّى مبادىء هذه القاعدة ما نطق به معلم الانسانية الاعظم عندما جاء الى دنيانا وجال يصنع خيراً في ارضنا . ولقد بشّر المسيح بها في ربوع الجليل قبل الفي سنة انما مبادؤها تنطبق على كل الاجيال وحكمتها تفيد جميع الازمان . وما ابلغها من آية ذهبية ثمينة بان تنقش كلماتها العذبة على صفحات القلوب ... « **كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم هكذا بهم لان هذا هو الناموس والانبياء** » . متى ٧ : ١٢

* * *

وبعد أن كُتب لي النجاح في العالم المادي اخذت انشده في العالم الروحي . فسعيت جهدي لافهم معاني الحياة ، وكثيراً ما كان يساعدني الدكتور شورت على ذلك وكان دوماً يحيطني بعنايته ، ويحاول تبديد وحشتي بعد وفاة زوجتي . وحاول مراراً كثيرة ان يقنعني لانضم الى عضوية احدى الكنائس بيد انني لم اكن عندذاك مستعداً لذلك لاني كثيراً ما سمعت الناس يتحدثون عن شخص انضم الى الكنيسة ليزيد جاهه ويظهر نفوذه ، ومجّت نفسي هذا التصرف وكرهتُ ان ينسب اليّ مثل هذا . اضف الى ذلك انني لم اكن في ذلك العهد قد صممت ان اسلّم مقاليد اموري ودفة سفينة حياتي للربان الحكيم والاله العلي القدير .

وانبثقت لي الفكرة ان اقوم برحلة الى اوربا وبلاد الشرق ، واقترحت على الدكتور شورت ان يرافقني فيها ، عساي عن طريق هذه السفرة والزيارة لبعض الاماكن الاثرية والمقدسة ادنو من الله واقترب منه .

وعزمت على زيارة الاراضي المقدسة ، مصطحباً معي الدكتور شورت وولدي وقد بلغ اكبرهما العاشرة من عمره والثاني السابعة .

وتلخصت مشكلتي في انني انتظرت من الله ان يصالحني مع انني لم اتقدم خطوة واحدة بنفسي سعياً وراء تلك المصالحة . وهذا بلا مراء طريق خاطىء نقترب به من الله وهو حتماً لا يحقق امانينا ولا يضمن لنا سكينة نفس وطمأنينة بال ...

ولشد ما تحقق حلمنا وتمت لنا امنيتنا ، اذ قمنا بتلك الرحلة المقترحة . وكان الدكتور شورت الذي رافقنا عالماً قديراً ، وصديقاً حميماً . وقد الم بمعرفة الكتاب المقدس الماماً تاماً ، فاخذ يوضح لنا اشياء كثيرة كانت غامضة علينا وغير واضحة لدينا . وما هي الا بضعة اسابيع حتى هبطنا الارض المقدسة فاخذنا نتجول في الاماكن التي عاش فيها يسوع والطرق التي سلكها مع تلاميذه . وكثيراً ما اشغل تفكيري ما تحمله المسيح من اجلنا خصوصاً عندما ادركت كيف انه قطع تلك المسافات البعيدة مشياً على اقدامه وكيف انه احتمل مشاق السفر في سبيل نشر رسالة المحبة والسلام بين ابناء الاسرة الانسانية الكبيرة .

ولم يحاول الدكتور شورت ان يعظ عليَّ بل دأب على طرد

الافكار المظلمة التي كانت تغشاني . وكان يقول لي : ان الرؤى سوف تأتي تدريجياً ... وحياتنا الروحية تحتاج الى وقت طويل للنضوج ... وهي تشبه النبتة التي تورق اولاً ثم تزهر ، وفي النهاية تعطي اثماراً . وكان اهم ما اشغل بالي جهلي معاني الحياة ، وعدم فهمي لاغراضها واهدافها . وكنت اتساءل : ما هو سبب عدم اطمئناني وقلق بالي ؟! فانا من الوجهة المالية جدّ متوفق اذ الاموال تتدفق على خزائني تدفقاً وها هي فروعي التجارية ناجحة كل النجاح في جميع الاماكن ، لكن ما بالي قلق وغير مطمئن ... ؟!

اجل انني بالرغم من هذا النجاح المادي كنت احتاج الى السلام الداخلي . وكان الاستقرار الروحي هو الذي يعوزني . واستطعت وانا اتجول في ربوع الشرق ان انسى متاجري وكل ما يمت الى حياتي المادية واشغالي التجارية بصلة . وتطلعت بعين المفكر الى عبر الماضي . فعندما وقفت بالقرب من اهرامات مصر ارتسمت في مخيلتي مواكب التاريخ الغابرة وعظمة الفراعنة الزائلة ... وعندما وطئت قدماي تلال اليهودية استعدت احداث الماضي ... ولمست بام عيني ظلم الانسان لاخيه الانسان ... فالثروة لم توزّع في كل بقاع العالم بين افراد الاسرة الانسانية الكبرى توزيعاً عادلاً . والعدالة الاجتماعية التي فقدت في الماضي ، ما برحت غير موجودة في زماننا العتيد .

وآلمت نفسي هذه الفروقات الكبيرة التي فصلت بين الناس واقامت بينهم الحواجز والحدود . فهي التي خلقت منهم الغني المنعم ،

والفقير المدقع . ولاحظت بألم وحسرة ازدياد هذه الفروقات الاجتماعية في بلدان البحر الابيض المتوسط . فعندما اقتربت من شواطىء الشرق ادركت ان البلاد الشرقية لم تنهل كثيراً من مناهل الديموقراطية الثرّة ، ولم تُشعّ هذه المبادىء العادلة والنُظم الجديدة بين شعوبها على نطاق واسع . والكثير من دول الشرق ما برح يسير بموجب الطرق القديمة التي سار عليها الطغاة الغابرون امثال جنكيزخان وتيمورلنك واضرابهما . وشاهدت انحطاطاً في مستوى المعيشة حتى بان الفرق كبيراً بين الانتاج والتوزيع .

ولاحظت اثناء تنقلي بين المدن الاوربية المتعددة ان الكثير من سكان القارة الاوربية راغبون في السفر الى العالم الجديد ، فكثيرون منهم يتطلعون بلهفة وشوق الى اجتياز الاتلانتيكي . وكأنهم نظروا الى اميركا كمصدر لحياة اجتماعية واقتصادية ، فهم نشدوا الحرية في بلاد الحرية ، وأملوا ان يتم لهم تحطيم قيود العبودية في تلك الواحة المنشودة . اجل ان الجماهير في تلك القارة الاوربية كانت توّاقة للحرية ولتحسين اوضاع الحياة . ولا مراء ففي العالم الجديد كان المجال واسعاً امامهم ، وما اسرع ما اسس المهاجرون لهم متاجر جديدة ، ومهدوا الى حياة جديدة لهم ولاعقابهم من بعدهم .

* * *

وتأثرت من زيارتي للبلاد المقدسة ، وقلت في نفسي : انني عندما اعود لبلادي لا بدّ لي من مواجهة الحياة مواجهة جدية فابدأ عندذاك حياة جديدة . وسرعان ما فتحت بلاد الوحي امام نواظري افاقاً واسعة ورؤى

غظيمة . فابتعت تذكرة سفر للعودة ، وآثرت ان اعرّج في طريقي على انكلترا . وفي وسط البحر هزتني ذكرى حادثة التيتانيك – تلك الباخرة التي غرقت في ١٤ نيسان من ذلك العام في المحيط الاتلانتيكي الشمالي . وكانت تسافر عندذاك سفرتها الاولى فاصطدمت بجبل من الجليد فاغرقها . وغرق مع التيتانيك حوالي ١٥١٧ شخصاً . ومن غريب المصادفات انني كنت قد قطعت تذكرة للرجوع عليها من مدينة اڤربول الى الولايات المتحدة . لكن شاءت الاقدار الا تسمح لهذه الباخرة الجبارة ان تجتاز الاتلانتيكي مرة ثانية فلا تعود ترسو في ذلك المرفأ الذي انطلقت منه وقامت من ميناءه باول رحلاتها ...

ولما عدت من رحلتي الى اوربا وديار الشرق اتخذت شركتنا قراراً فيه غيّرت اسم الشركة القديم . « القاعدة الذهبية » الى اسم جديد هو « شركة بني » . واني شخصياً لم احبذ مثل هذا التغيير مع ان التسمية الجديدة كانت مدعاة لاشهار اسمي واذاعته . انما اعتقدت ان الاسم الاول « القاعدة الذهبية » يتناغم كل التناغم مع مبادىء شركتنا لانه يشير الى الروح التي سيطرت على شركتنا في شتى معاملاتها . وظلت الشركة تسير بموجب المبادىء التي وضعناها لها ، وكنا ندرّب المديرين للفروع الجديدة ، ونشجعهم للمساهمة في اعمال الشركة . وبقي امر اختيار الموظفين والمستخدمين يشغل المكانة الاولى لدى الادارة والمسؤولين .

وحدث مرة ان ذهبت صحبة المستر جونسون والمستر كالاهان الى نيويورك لشراء بعض اللوازم والبضائع للشركة ، فأطلعنا بعض تجار الجملة

على عينات من البضائع كنا في حاجة الى شرائها ، وصرّح لنا البائع ان الوان الاقمشة ثابتة وكنت قد تعوّدت ان اتحقق الامور بنفسي ، لذلك قبل ان نقدم على ابتياع تلك الصفقة من القماش اخذت بعض العينات معي الى الفندق وهناك اغلقت باب غرفتي وبدأت امتحن ثبوت الالوان فيها بنفسي - فغسلت تلك القطع ووضعتها لتجف على نافذة غرفتي ...

وعندما دخل عليّ احد شركائي استغرب مني تصرفي هذا وقال ماذا تعمل يا جيم ؟! اجبته : احببت ان اختبر ثبوت الوان هذا الصنف من القماش بذاتي . قال : لكن الم تقتنع بكلام البائع فقد اكد لنا ان الالوان ثابتة ... اجبته : لكن انا الذي سوف ادلي بالتصريحات لعملائي . فان لم اتيقن من صحتها او اتحقّقها بنفسي فكيف يتاح ان ادلي بتصريحات صادقة واكيدة الى عملائي ... ؟ وهزّ شريكي رأسه وقال : اذا بقيت يا جيم تسير على هذا المنهاج فلن تصبح رجلاً عظيماً ... ! لكنني لم اغيّر منهجي لانني رأيت طريق النجاح واضح المعالم لكل من يسير بموجب مبادىء القاعدة الذهبية .

* * *

واستدعت الحاجة ان نعيّن مراقباً للحسابات ، وكان المستر جورج بشنل قد طلب ان يشغل احدى الوظائف في شركتنا ، فعرضت عليه هذه الوظيفة مقابل ٨٠ دولاراً في الشهر ، لكنه رفضها اذ كان يتقاضى على زعمه ضعف ذلك . ومن ثم طلب الوظيفة المستر هيوغ - وكنت قد اسندت اليه امر تعليم ولدي - وكان يطلع على مجلة شركتنا - فقرأ فيها اعلاناً

يبيّن حاجتنا الى موظف . وعندما تقدم بطلبه للوظيفة المعلن عنها قلت له : ان المعاش المرتب لتلك الوظيفة لا يتعدى المئة دولار وانت تحصّل اكثر من ذلك عن طريق التعليم ...

اجاب انا لا اسعى وراء الثروة والمال بل وراء المبادى. الشريفة . وقد اعجبتني مبادى. شركتكم ، ولذلك فانا افضل العمل معكم وان كان الراتب اقلّ مما انقاضى . وما اسرع ما قبلنا طلب المستر هيوغ ، وعيّناه في تلك الوظيفة الشاغرة ، فحقق امالنا فيها وضمن لنفسه اطراد التقدم والنجاح . وقد اوردت هذين المثلين لابيّن الفرق بين نظرات الاشخاص في الحياة . فقد كانت نظرة المستر هيوغ تمتد الى المستقبل البعيد اذ هو لم ينشد نجاحاً موقتاً بل تطلّع الى مكان يستطيع فيه ان يستخدم مواهبه ، ويظهر مقدرته ، ويضمن له مستقبلاً زاهراً .

* * *

وطوت شركتنا ١٢ عاماً منذ بدأت العمل في مدينة كيمبر . فاذا بتجارتنا تزداد واعمالنا تتسع ، وفروعنا تتكاثر . وكنت ترى مستخدمينا في كل مركز من مراكز عملهم يظهرون روح الخدمة ، ويمثلون مبادى. القاعدة الذهبية . انهم حملوا روحاً طيبة نقلوا تأثيرها الى الآخرين . وكثيراً ما انتقلت عدوى تصرفاتهم الطيبة الى جيرانهم الذين اخذوا يحذون حذوهم ويسيرون على غرارهم . وكفى لشركتنا فخراً انها شجعت الآخرين للتطلع الى مقياس عالٍ في الاعمال التجارية ...

وكثيراً ما حرمت شركتنا موظفيها بعض الامور المريحة ، بقصد

التوفير وعدم تحميلها مصارفات اضافية . فكنا في اكثر الاحيان نعمد الى استعمال الظروف البسيطة والمستعملة ... وكنا نعرض بضائعنا بطرق اعتيادية لتجنب البذخ والمصارفات المرهقة . فاذا احتجنا الى زجاجة حبر ابتعنا واحدة مكان التي فرغت . واذا احتاج موظف الى قلم رصاص اشتراه من ماله الخاص . هذا هو النهج الذي سرنا عليه في بادىء الامر لكي لا نرهق الشركة بالمصارفات غير الضرورية التي بدورها لا بدّ ان تؤدي الى رفع الاسعار وتحميل الشاري نفقات اضافية .

* * *

وتفرغت منذ عام ١٩١٤ لادارة المحل الرئيسي الذي اسسناه لاستيداع شتى اصناف المشتريات . وكان منوطاً بي ايضاً السعي المتواصل لايجاد مديرين للفروع الجديدة . وكان لا بدّ من اعداد هؤلاء وتدريبهم على العمل الجدّي ، وتمرينهم على التفكير والتنظيم . وكانت خطة شركتنا ضمان النجاح لكل موظف يلتحق بها . ولهذا كان يهمنا كثيراً حسن اختيار هؤلاء الموظفين . وما اسرع ما وضعت دستوراً لشركتنا ليتمشى بموجبه الموظفون كافة . ودعونا هذا الدستور « مبادىء بني » ولخصناها في خمسة بنود .

اولاً : ضرورة الاهتمام بارضاء الزبائن .

ثانياً : العناية بتقديم احسن اصناف البضائع للعملاء .

ثالثاً : الاستعداد لمساعدة الناس وخدمتهم .

رابعاً : الاكتفاء بالارباح القليلة .

خامساً : تطبيق القاعدة الذهبية في كل اعمالنا . وطُلب من كل موظف ان يسأل نفسه امام كل مشكلة وعقب كل عمل : هل تمشى عمله مع روح الحق والعدل ! ؟ وهل ينطبق تصرفه على مبدأ القاعدة الذهبية ؟ !

* * *

وكانت امنيتي العظمى رؤية محلات بني التجارية واحات يقصدها الناس للاستظلال بفيئها ، والانتهال من معينها – وهم مملوءون بروح الخدمة وحياة الاستقامة . واني لفخور اذ استطاعت شركتنا عن طريق هذه المبادىء الرفيعة جلب الزبائن اليهـا ونيل رضاهم . ولم تكن خطتنا العناية بالامور الهامة فقط واهمال الامور البسيطة ، لان الاشياء التافهة كان لها في نظرنا التأثير الكبير على النجاح واقبال العملاء .

وصدف مرّة وانا اتفقد فروعنا في مدينة كنساس ان وجدت احد المستخدمين لا يحسن لفّ البضائع المباعة . فقد لفّ للزبون قميصاً اشتراه من محلنا التجاري بطريقة غير مرتبة . وحالما ترك الشاري المتجر استدعيت الموظف ، واخذت قميصاً ولففته امامه بدون عناية وسلّمته اليه وقلت له : افتح هذه الرزمة ، ففتحها فاذا القميص متجعداً متثنياً . فقلت له : تصور انك ذلك الشاري الذي عندمـا يصل بيته ويفتح الرزمة التي معه يجـد القميص الذي ابتاعه بحالة مزرية كهذه . انه بلا شك لن يعود يتعامل معنا مرة ثانية . وبهذا نكون قـد خسرنا زبوناً لسبب تافه بسيط كان في الامكان تداركه . وبمثل هذا الاسلوب كنت ارشد الموظفين وانبههم الى الطرق التي فيها يستطيعون ارضاء عملائهم .

واصدرنا مجلة للشركة دعوناها « الدينامو » . وكانت غايتنا منها هو ما دلّ عليها اسمها ان تكون المحرك الدافع لجهاز شركتنا . ودرجنا على خطة نشر الاخبار التي تهمّ المستخدمين وبشوقهم الاطلاع عليها وكنا نكتب شيئاً عن اخبار الفروع التي لنا . كما اننا ادرجنا فيها مقترحات وتوجيهات من شأنها ان تذكي روح الخدمة ، وتعزّز مكانة الاستقامة وتنهض همة المستخدمين . وكانت هذه المجلة خير اداة لنقل الاختبارات واذاعتها ونشرها . ولم يكن من الصعب ان نبحث على صفحاتها في طرق التنظيم الحديثة ، وفي نظريات الاقتصاد ، واصول التجارة — بيد اننا وجدنا انه انفع للقراء واجدى لهم الاطلاع على اختبارات الآخرين ثم فتح المجال لابداء مقترحاتهم وملاحظاتهم .

ووجدنا بعض الصعوبة في تحرير المجلة ، لان معظم موظفينا ومستخدمينا كانوا رجال اعمال لم يمارسوا فن الكتابة او يتعودوا تحرير المجلات . فكانت لغتهم ضعيفة ، اذ انهم مثلي لم ينالوا قسطاً وافراً من التعليم . فترتب عليّ والحالة هذه ان احتكّ باناس اصحاب ثقافة عامة واطلاع واسع . وكنت اتصل بامثال هؤلاء ليزودونا ببعض المواد للمجلة تكون سهلة المنال وتجمع بين المتعة والفائدة . واني اشكر الله اذ توفقت شركتنا في النهاية الى رجل استطاع ان يتسلّم زمام تحرير المجلة فيسدّ هذا الفراغ ويؤدي رسالتنا لموظفي شركتنا كافة ...

الفصل العاشر

حدث مرة اثناء وجودي في مكتب شركتنا الرئيسي في مدينة نيويورك ان وقع نظري على كتاب بعنوان « الشباب والفرص التي امامهم » . فأخذت الكتاب وطالعته ، وما اسرع ما تركت قراءته تأثيراً كبيراً على نفسي . ثم استفسرت عن مؤلفه فعرفت انه المستر تابير . فاتصلت به وطلبت منه ان يتناول طعام الغداء معي للتعرف عليه معرفة شخصية . فلبّى دعوتي ، وبعد الانتهاء من الطعام عرضت عليه كتيباً كنت اعددته وازمعت على طبعه . فتصفحه قليلاً ثم اعاده اليّ وهو يقول : هذا اردأ ما شاهدته من انتاج ادبي ...

ومضت مدة من الزمن قبل ان اجتمعت بالمستر تابير ، او تحدثت اليه . لكن صدف ان طلبته ذات يوم على التلفون ، فما كاد يسمع صوتي

حتى تميزني وعرف انني انا صاحب الصوت . ولا مشاحة فان تمييز الشخص عن طريق الصوت موهبة يختص بها القليلون من الناس . ومما لا ريب فيه ان المستر تابير كان من اصحاب هذه المواهب الفائقة ، والملكات النادرة . وكنت اهدف من محادثتي مع المستر تابير ان اسأله ان يتولى ادارة بعض الصفوف التي كنت قد نظمتها لموظفي شركتنا .

اجل كنت قد سعيت لتنظيم صفوف ليلية لتلقين موظفي شركتنا بعض المعلومات لاعتقادي ان مثل هذه الدروس الاضافية تفيدهم كثيراً . ولا غرابة فالثقافة العامة ، والكفاءة المهنية تعود على اصحابها بنتائج مادية محسوسة ملموسة . وكي لا اطلب من المستخدمين شيئاً فوق طاقتهم سجلت اسمي في عداد تلك الصفوف ، والتحقت كطالب في تلك الحلقات الدراسية ليدرك العاملون معنا معنى المثل الشائع : مَن ساواك بنفسه ما ظلم .

وشعرت انه كان ضرورياً لي ان ازيد معارفي ، واوسّع معلوماتي اذ انني منذ تركت المدرسة لم ادرس شيئاً . وحتمت الظروف عليّ ان اجاري ركب التقدم ومواكب العرفان ، لا سيما وان مركزي كمدير عام لشركة بني تطلّب مني الخطابة في كثير من الاحيان امام الجماهير اذ ما اكثر ما استدعيت للتحدث في الاجتماعات العمومية والمجالس العامة ... فكان لا بدّ من تحسين لغتي ، وزيادة معارفي .

* * *

وتقدمت من المستر تابير عارضاً عليه ان يعطيني بعض الدروس الخصوصية ، فقبل . فاستأجرت غرفة خاصة للدرس ، بحيث استطيع ان ادرس

واياه في جو هادىء بعيد عن الضوضاء وفي منجى عن المراجعات . وقضيت ١٨ شهراً اتابع معه دراستي الجدية ، غير سامح لاحد ان يعكر علينا صفو الاجتماعات وجو الدراسة الهادىء . وانصرفت بكليتي الى الدرس والاجتهاد حتى ندر ان شاهدني الناس في الشوارع او المتنزهات العامة ، لاني انتهزت كل وقت فراغ واستفدت منه في الدرس الجدي ، والمطالعة المستأنية . ولا بدّ لي من الاعتراف ان تلك الايام كانت من اعذب ايام حياتي ، فقد زادتني معرفة وملأت مسالك عيشي بهجة وحبوراً واشعاعاً واشراقاً . ولا عجب فقد تناولت دراساتي مطالعات تدرجت من فلسفة افلاطون الى كتابات المصلح الاجتماعي جون رسكن ، ومن فلاسفة عاشوا قبل زمن المسيح الى كتّاب ظهروا في العصور الحديثة .

وعندما انتهيت من دورة الدروس الخصوصية هذه اصطحبت استاذي معي لزيارة بعض المراكز التابعة لشركتنا . وسرّنا ان نقضي بعض الوقت في دراسة امزجة الناس وطبائعهم . وتفقدنا في جولتنا هذه حالة فروع الشركة ، وحياة الموظفين . واستطعنا ان نحصل على معلومات واسعة ، واختبارات ثمينة . وادركنا ان لا اثنين من الناس يتشابهان – فهذا خجول حيي – وذاك مجازف جري . وهذا سريع عجول ، وذاك متثاقل ملول .

* * *

وسرعان ما اصدرت شركتنا مجلة عنيت بشؤونها ، وبتوجيه موظفيها . واسندنا الى المستر تابير امر تحريرها ، وكتابة المقالات التوجيهية فيها . لاننا لمسنا الفرق العظيم في التصرف والعمل بين المتعلم وغير المتعلم .

وقيقناً ان المعرفة ان هي الا اداة لترقيـة الموظف ومعوان على تثبيته في عمله . فالموظف المتعلم الراقي لا يعود يفـكر في ترك عمله اذا اتقنه ، فانه يشغف به ويحبه ، ويصبح يملأ فراغ قلبه وتفـكيره . وكانت سياستنا تهدف الى عدم اجبار احـد على التعليم قسراً عنه . انما اعددنا الفرص لجميع من يرغبون في زيادة معلومـاتهم والاستفادة من اوقـات فراغهم .

ورغبت كتاجر ان اطبق مبادىء القاعدة الذهبية في هذه الناحية من الحياة . ففتحت الابواب لمن يروم التقدم ، وهيأت مجـالاً لمن يبغي النجاح . وخيّل اليّ انه عن طريق هذه الحلقات الدراسية يمـكن فتح المجال امام الجميع ليتعلموا . فاذا ما استفادوا من هـذه الابواب المفتوحة امامهم فانهم بلا شك يصبحون تجـاراً من الطراز الاول في وسعهم ان يقـاسموا رؤساءهم الارباح ، وان يكونوا شركاء لهم في العمل والادارة . وادركت ان احسن وسيلة لتعليم الشبان والشابات فن التجارة هو عن طريق العمل نفسه . وعلمتني التجارب بعض الامور الهامة الخصها فيما يأتي :

اولاً : ان لا اركن الى الحظ والصدف .

ثانياً : ان لا اتـاهـل في المبدأ .

ثالثاً : ان لا اجازف واخاطر في مشروع لا اعرف عنه شيئاً .

* * *

وظلت الذكرى تعاودني عن زوجتي المتوفاة ، فاجد الالم يحزّ في نفسي ، وفراقها يقلق مضجعي وبقيت اعيش في جو من القلق والاضطراب

منذ عودتي من الرحلة الى اوربا . وتقدّم اليّ المستر تابـير ببعض الدروس العملية في الاحتمال والصبر – هذا بالاضافة الى الدروس النظرية التي تلقيتها منه . فاشدّ ما شاهدته عند وفاة زوجته يتحمل الصدمـة بصبر فائق ، وبعزيمة امضى من عزيمتي . وحـدث ان دخـل ذات يوم غرفتي وانتزع الستائر التي كانت تعتّم مخدعي وقال : لقد كفى ... فقد آن لك ان تدع هذا الفيض من النور والضياء ان يدخلا الى غرفتك . فأثرت هـذه العبارة على نفسي اذ ادركت النتائج السيئة التي سوف يتركهـا الحزن المتواصـل في نفسي . اجـل ان الحزن اقضّ مضجعي ، والقلق عـكّر عليّ صفو حياتي ، الى ان برز المستر تابير امامي فالقى عليّ ذات الدرس الذي القاه المستر شورت من قبله . وكأنّ الاثنين اخذا يتعاونان معاً على توضيح مفاهيم الحزن ومعاني الالم لي توضيحاً حقيقياً صادقاً .

وكان القس الدكتور شورت قد انتقل الى مدينة سيوكن وكنت كلما اهبط تلك المدينة ازوره واتناول طعام الغداء على مائدتـه . وكنت اجد دائماً في حديثه رقـة ومتعة ، وفي رفقته سلوى وعزاء . وفي كل مناسبة كان يحاول اقناعي لانضمّ الى احدى الكنائس ، لاني حتى ذلك التاريخ لم اكن عضواً في اية كنيسة ما ، اذ كنت منصرفاً الى الاعمـال التجارية ، وكانت افكاري متجهة في ناحية دنيوية اعني بها التوسع المادي وجمع الاموال ...

اجـل لم يشغل الدين بالي ... بل كان آخر ما فكرت فيه ... غير انني لمست في المستر شورت جماع قوة روحية مثيرة . وتمنيت لو استفدنا

من مواهبه في اعمال شركتنا للوصول الى بعض النتائج البانيـة المفيدة . فامثال المستر شورت والمستر تابـير يفيدان كثيراً في توجيه الحيـاة الادبية والروحية ، لانهما كوكبان مضيئان يستطيعان ان يشعا باضوائهما على النفوس الحزينة القـابضة ، وفي وسع الشخصية العامرة ان تؤثر على الآخرين فتخلق من المتشائمين المتبرمين رجال امـل ورجاء ومن اليائسين القانطين خلائق جديدة وشخصيات فريدة .

* * *

كان المستر شورت يردّد هـذه العبارة على مسمعي : ان عملك الاكبر لم يظهر بعد ... وانت لم تمثل دورك النهائي ... وما برح العالم ينتظر ذلك منك ... وكأنـه اشار بطرف خفي الى مـا استطيع ان اعمله عندما يحتلّ الله قلبي ، ويتمركز في حياتي ... واضطرتني الظروف ان ارتبط بالزواج مرة ثانية عام ١٩١٩ . وكانت زوجتي الثـانية فاتنة الجمال ، واسعة الاطلاع ، وصاحبـة مواهب فائقة ، وملـكات نادرة . ورزقت منها ولداً دعوته كامبل . وابتعت لنا بيتاً في بلدة تقع على احـد شواطىء فلوريدا ، لكون مناخ تلك البلدة وافق صحتنا ، ولاني تطلعت ببصيرتي الى المستقبل الزاهر الذي ينتظر تلك المدينة الناشئة في مقاطعة فلوريدا الزاهرة .

وصار لشركتنا عام ١٩٢٠ ما يربو عن ٣٠٠ فرع توزعت في عدة ولايات اميركية . وكان منوطاً بي ان اتفقد هذه المراكز المتفرعة في طول البلاد وعرضها . وساعدتني تنقلاتي الواسعة ان اطلّع على حالة البلاد الزراعية ،

وان اتلمّس بعض المشاكل الاجتماعيـة . واينما سرت شعرت بحاجـة الفلاحين الى تحسين احوالهم ... فاصناف الماشية التي اقتنوها كانت رديئة ويعوزها ادخال دم جديد عليها . فهـا هي الابقار هزيلة ، واكثر انواع الماشية من الصنف المنحط . وحالما لمست هذه الحاجة الماسة قرّرت العمل على علاجها وتزويد المزارعين باصناف جديدة من الدواجن الاصيلة .

وقلت لنفسي انني بهذا العمل المفيد اسدي لابناء قومي خدمـة جليلة . فاذا ما تحسنت عروق الماشية عندهم تحسّن الانتاج وزاد الدخل . لذلك بادرت الى شراء مزرعـة كبيرة واسعة ، زودتهـا باحسن اصناف الدواجن ، وجهّزتها بالادوات والمعدات ، وخصصت المـال الكافي لها لضمان بقائها وازدهارها . ولم افكر باحتكار هذا العمل لنفسي بل قصدت من هـذه المؤسسة الزراعية اجراء بعض التجارب العلمية فيهـا ليتسنى لي نقل تلك الخبرة الفنية الى جماهير الفلّاحين المنتشرين في القرى النائيـة والريف البعيد عن العمران .

* * *

وواكبني الحظ اذ تحسنت احوالي المـالية ، ونجحتُ في شتى مشاريعي . وعندما تقدمت للتأمين على حياتي قبلت احـدى الشركات ان تؤمنني بمبلغ قدره ٢٠٠ مليون دولار . بيد ان الدنيا دولاب ، والحظ قلّاب ، والسعد لا يدوم ، اذ لم تمضِ سنة واحـدة على تأسيسي مزرعة التجارب في مدينة امندين حتى توفيت زوجتي الوفية تاركة لي ولداً يحمل صورة عنها . وكان ولدي كامبل عندذاك قد كبر وانخرط في سلك الجندية

ليؤدي واجبه لبلاده ...

واجتاحتني موجة من الحزن جديدة على اثر وفاة زوجتي الثانية . وهزّت الصدمة حياتي فزعزعت كياني وبدّدت صفو سعادتي وهنائي . ولم استطع احتمال وقعها لان حقبة زواجي الثـاني حفلت بذكريات كثيرة عن تلك الشخصية الفريدة التي غابت عني وعن ذاك الملاك الامين الذي افتقدته في موت شريكة حياتي . اذ لا بدّ لي من التصريح انه عن طريق زوجتي هذه استطعت ان اكتشف كنوزاً كثيرة ، واحصل على ثقافـة واسعة ، واحظى بمعرفة طرق الخير التي كانت مخبوءة عن نواظري ودفينة في دنياي التي كنت اعيش في كنفها ...

أنبئت عام ١٩٢٣ ان دكاناً للمستر هيل في هاملتون معروض للبيع . وكانت شركة بني – كما قد وضح سابقاً – قد توسعت كثيراً اذ اصبح لها فروع في مراكز عديدة ، غير انني نظرت الى هذا الدكان نظرة خاصة ، اذ فيه تدرّبت على العمل التجاري في بدء حياتي ، ومنه اخذت اعذب الذكريات وتولدت فيّ ارفع الاماني . وحالما ترامى اليّ نبأ البيع هرعت الى هاملتون ، وفاوضت المستر هيل – رئيسي السابق – في الامر ، وساومته على شروط البيع .

فبادرني بقوله : انني متعجب يا مستر بني لمَ تأخرتم الى هذا الحين بفتح فرع لشركتكم في هاملتون مع انكم تسعون لمدّ شبكة هذه الفروع في كل مكان . وانه ليزيد استغرابي ان هذه البلدة كانت المكان الاول الذي بدأت فيه اعمالك ، وشققت منها طريقك الى ميادين

الحياة الكبرى ... ؟ اجبته : انني لم اقدم قبلاً على فتح فرع لشركتنا في هاملتون لانكم كنتم تعملون فيها . فموقع دكانكم ممتاز ، وسمعتكم طيبة ، وعملاؤكم كثيرون . ومن الصعب على احد ان ينافسكم او يضاربكم . غير انكم ما دمتم الآن قد اقدمتم على اقفاله فاني اتجاسر على اخذ هذه الخطوة الجريئة . وما اسرع ما انهينا اتفاقيات البيع فاصبح لشركتنا بعد فتح هذا الفرع الجديد في هاملتون ٥٠٠ فرع .

* * *

وجمعتني الظروف ذات يوم بالدكتور دانيال بولنغ في حفلة غداء ، وكان هذا احد القادة البارزين في جمعيات الاجتهاد المسيحية فاخذ يوجهني الى ما طالما وجهني اليه القس الدكتور شورت ، داعياً اياي ان اقدم شيئاً من مالي واكرّس بعضاً من وقتي للمشاريع الانسانية . وكنت في داخليتي اتوق لوضع اساس لمؤسسة تعنى بتوثيق عرى العلاقات بين مختلف الطبقات البشرية وكان هذا عام ١٩٢٣ ، الا انه مرّت عدة اعوام قبل ان استطعت تحقيق امنيتي هذه باخراجها الى حيز العمل . ولا شك في ان تعرّفي بالدكتور بولنغ كان حافزاً لي للمبادرة في هذا العمل ، وللشروع في وضع الخطوط الكبرى لذلك العمل الانساني الجليل .

وكنت قد انتهيت عام ١٩٢٥ من تأسيس مزرعة امادين . وظن الكثيرون عندذاك انني اسستها لمنفعتي الخاصة ، ولتمتعي الشخصي ، مع ان الغاية الاساسية والغرض الحقيقي منها كان خدمة المزارعين ، اذ انني قصدت من وراء تأسيسها امداد المزارع باصناف جديدة من الدواجن

وفي الوقت ذاته كنت اتوق الى حياة الريف لاعيش في جو يلائم صحتي ، ولاتمتع بحياة خالية من مفاسد الحضارة ، وقريبة من الحياة الطبيعية الساذجة ... والظاهر انه كان لا بدّ من مرور بعض الزمن ليتسنى للجمهور ادراك هذه الغاية التي من اجلها سعيت لتأسيس تلك المزرعة في امادين .

* * *

وحتى ذلك العهد لم اكن اواظب على حضور خدمات العبادة في الكنيسة ، ولم يكن الدين قد اشغل مكانة هامة في حياتي ، كما انني حتى ذلك الزمن لم اختبر قوة الصلاة اختباراً حقيقياً . ولما كنت قد نشأت وترعرعت في بيئة زراعية فاني لم اصادف مشكلات معقدة ، او قضايا هامة تعترض سبيلي . اضف الى ذلك ان المال كان متوفراً لدي ، ولشدما اعتقدت انني عن طريقه استطيع ان اعمل كل ما اريد واشتهي . وهذا بلا مراء تفكير خاطىء . لان المال وسيلة ليس غاية . وكنت على ضلال عندما اعتقدت انه في الميسور اصلاح كل خطأ عن طريق المال .

وبرقت الفكرة اخيراً في خاطري ان ابتاع بعض الاطيان الواسعة ، واشرع بتأسيس مزارع نموذجية . فابتعت لتحقيق هذا الغرض قطعة واسعة من الارض بنيت فيها ٣٠٠ بيت ، وزودتها بعدد وفير من اصناف الماشية الجيدة ، والطيور الدواجن . ثم مددت في المزرعة شبكة من الطرقات المعبّدة التي اربت عن المئة ميل طولاً . ودعوت هذه المزارع — مزارع بني — مع انها لم يكن لها اي ارتباط بشركة بني التجارية .

ولم اوظف احداً في هذه المزارع بل جعلت المزارعين العاملين فيها مساهمين وشركاء . وكنت اختارهم من بين اولئك الذين اوصى بهم مدراء الفروع التابعين لشركتنا ، وذلك بعد ان يختبروهم ويعرفوا حياتهم معرفة تامة . وانطت بالمستر كلارك انتقاء هؤلاء الاشخاص فكان يقابلهم ويفحصهم ، ليتحقق من هوياتهم ونزعاتهم . ولم نقتصر على اختيار المزارعين فقط ، اذ كثيراً ما انتخبنا اشخاصاً لم يمارسوا الزراعة بل انهم مالوا الى الحياة الزراعية وأحبوا السكنى في الارياف .

واشترطت على كل من يبغي الانتساب الى هذه المزارع ان لا يشرب الخمر ، وان لا يدخن ... وان يكون من الذين يواظبون على الحضور الى الكنيسة . وقد جعلت هذه الامور منذ البداية شرطاً اساسياً لقبول اي شخص في هذه المزارع . وكان في وسع كل مزارع بعد سنة من التحاقه بالمزرعة ان يصبح بعدذاك شريكاً ومساهماً في المشروع اذا صمّم البقاء معنا ... وكان لزاماً عليّ ان امدّ هؤلاء المزارعين بمساعدات مالية ليتسنى لهم المباشرة بالعمل .

وقبلنا في العام الاول اربعين من هؤلاء المزارعين ، والتحق بنا في السنة الثانية خمسون اخرون ، لم يترك منهم المزرعة سوى عدد قليل . وكنت اهدف من وراء هذا المشروع فسح المجال امام هؤلاء الزراع ، المختلفي المشارب والنزعات ، تطبيق القاعدة الذهبية في شتى مسالك حياتهم . وبيّنت لهم انني شققت طريقي في الحياة بقوة الايمان وبتأثير ذلك الرأسمال الخلقي والروحي . فقد كانت وسائلي المادية محدودة انما

بقوى الايمان والرجاء ، والجد والمثابرة استطعت ان اصل الى ما انا عليه . وفي ميسور كل انسان ان ينهج نهجي ، ويسير على غراري ، فيواجه المستقبل بروح مملوءة بالايمان بالله ، والثقة بالنفس .

وشجعت اصحاب المواهب والكفايات اذ اسندت اليهم بعض الاعمال الادارية ذات المسؤولية . وظن فريق من هؤلاء المزارعين ان النجاح الذي يواكب التجار لا يواكبهم ، لان مقاييس النجاح كما اعتقدوا تختلف عند التجار والمزارعين . بيد انني لم اعتقد انهم كانوا على صواب في هـذا ، فطبقة المزارعين لا تشذّ عن الباقين ، ومقاييس النجاح تنطبق عليهم كما على غـيرهم . ولاحظت ان كل مـا كان يعوزهم هو التنظيم والارشـاد والتعاون ...

* * *

واجتمعت ذات يوم بالدكتور بولنغ ، وكان قد أُسند اليه اعداد برامج اذاعات للاحداث ترتكز على تعاليم المسيح . وبمباشرتي اياه تحققت فيه مقدرته الفائقة على التنظيم والقيادة ، كأنه وُلد ليكون قائداً وزعيماً لان صفات القيادة سرت في عروقه . وكانت طريقته ان يعدّ الاحاديث ثم يذيعها . فيستعرض فيها بعض المشكلات ، ومن ثم يوجّـه للاحداث بعض الاسئلة ويعقبها باجوبة ينتزعها من كتاباتهم او احاديثهم ولا يتركهـا قبل ان يعلّق عليها التعليق الكافي . ولانجاح هذه الاذاعات كان لا بـدّ للمستر بولنغ ان يجتمع يومياً بثلاث من الشبـان قصد استجوابهم ودراسة مشكلاتهم . ولشدّما لاقت هذه الاذاعات اقبالاً كبيراً وصادفت استحساناً

عاماً ، فبعد ان كانت تذاع من محطة واحدة اصبحت تذاع من ٣٨ محطة اذاعة . ولما ادركنا خطورة الاذاعة ومدى تأثيرها على الرأي العام التجأنا اليها فاستخدمناها في اذاعة الاختبارات الزراعية والمعلومات الفنية ، والتجأنا اليها في ارشاد المزارعين الى احدث الطرق الزراعية والوسائل الفنية .

واصابني الارق احدى الليالي ، فاحييت ليلتي مفكراً بمشاريع جديدة . واذا بخاطرة تمرّ بفكري فقلت : لمَ لا ابني كنيسة في وسط هذه المزارع ... ؟! ولمَ لا اترك تذكاراً يخلد ذكرى والديّ الورعين... ؟! فقد مات والدي عام ١٨٩٥ ، وماتت والدتي عام ١٩١٣ وحتى هذا اليوم لم اترك لهما اثراً يخلد ذكراهما ، مع انهما كانا السبب في نجاحي في ميادين الحياة العملية ... وتبيّن لي ان بناء مثل هذه الكنيسة قد يكون خير ذكرى لهما لاسيما وانهما احبّا المسيح وخدماه في حياته ، وكرّسا نفسيهما له ...

واخرجتُ هذه الفكرة الى حيز الوجود في حزيران عام ١٩٢٦ اذ افرزت قطعة كبيرة من الارض وسط المزرعة وخصصتها لبناء كنيسة وفكرت ايضاً ان احيطها ببعض المنازل لسكنى رجال الدين المتقاعدين . وفي غضون ذلك الشهر وضعت الحجر الاساسي لهذا المشروع الجديد .

* * *

وتزوجت صيف ذلك العام من سيدة ذكية ذات طباع هادئة . هي زوجتي التي تعيش معي الان . ولا انكر انه كان لشخصيتها اثر

كبير على حياتي . فقد اثرت هذه السيدة بروحها الدينية عليّ كثيراً اذ ايقظت فيّ ذلك الشعور الديني وفتحت امامي افاقاً من الحياة الروحية الرحيبة . فعشت في فيض روحها ، وتباركت بوجودها وسرعان ما رزقتُ منها ابنتين اصبحتا مصدر فرحي وسروري . وسميت الاولى ماري فرنسيس تيمّناً باسم والدتي ، وسميت الثانية كارول ماري تذكاراً لام زوجتي . وانصرفت الكبرى الى التخصص في العلوم الكيميائية في جامعة اكسفورد ، واختارت الصغرى العلوم السياسية التي ما برحت تدرسها حتى عام ١٩٥٠ في جامعة ستانفورد .

* * *

وترامى اليّ ان الدكتور بولنغ تسلّم تحرير جريدة الكرستشن هرلد . وهذه صحيفة كان لها فضل كبير على رفع منار الانجيلية في ديارنا . وادركت ما لهذه الجريدة من تأثير على الرسالة المسيحية ، وتوجيه الرأي العام للمبادىء السامية ، ففاوضت اصحابها على دخولنا كشركاء معهم . فقبلوا طلبي وللحال دعمناها بالمال وادخلنا عليها بعض التحسينات فاصبحت تؤدي رسالتها على اكمل وجه ، فتذيع اخبارنا ، وتنطق بلسان حال شركتنا . وابقينا الدكتور بولنغ متسلماً ادارة تحريرها ، وهكذا شجعنا هذه الصحيفة واستخدمناها لنشر كلام الله ، ولاذاعة الانباء السارة ، ودعم المبادىء المسيحية الرفيعة .

وتمّ عام ١٩٢٧ بناء الكنيسة وسط المزارع كذلك تمّ بناء بعض البيوت حولها . وكرّسنا الكنيسة التي شيدت لذكرى والديّ البارين .

وآوينا نحواً من ٩٨ عائلة في تلك البيوت بحيث كان نصيب كل عائلة ثلاث غرف وحمام وبعض الاثاث والمفروشات . وطلبت من القس شورت ان يشرف على حفلة التكريس ويلقي العظة في تلك المناسبة . وقدّم احد المواطنين ارغناً جميلاً للكنيسة ذكرى لوالدته ، كما ان ولديّ قدّما بعض الستائر ذكرى لوالدتهما . وهكذا تحققت امنيتي وتمّ لي ما كنت اصبو اليه .

* * *

ولا بدّ لي من الاعتراف انه بعد ان توسعت في هذه المشاريع الانسانية كتأسيس مزرعة امادين – والمزارع التعاونية النموذجية اصبحت اشعر بحياة اعذب ، وبسعادة اوفر ، اذ عن طريق هذه الاعمال تسنى لي مشاركة ابناء قومي ثمار الايمان الذي طالما حاول والديّ تثبيته فيّ . ولقد شاركهما في اذكاء الايمان في قلبي اناس خيّرون عديدون امثال المستر هيل ، والمستر جونسون ، والمستر كالاهام ، والدكتور شورت . واني اشكر الله الذي فتح هذه الآفاق امامي ، وزودني بمثل هذه الرؤى التي دفعتني لايجاد هذه المشاريع الخيرية النافعة ، ومكنني من خدمة ابناء بلادي وتوجيه شباب امتي ومشاركتي الوجدانية لاخواني في الوطن الكبير .

الفصل الثاني عشر

وحلت بنا بعض النكبات اذ اجتاحت ناحيتنا عاصفة شديدة خريف عام ١٩٢٥ اتلفت الكثير من مزروعاتنا . وتلتها موجة من التدهور الاقتصادي شملت شتى اقطار العالم ، ولم تنجُ بلادنا من تأثيرها . وكنت قد عنيت بدعم المصرف الاهلي في مدينة ميامي ، لاني وجدته السبيل الوحيد لانعاش اقتصاديات تلك المدينة ذات المستقبل الزاهر المنتظر . وبالاضافة الى تمويلي هذا المصرف اودعت كثيراً من مالي في مؤسسة بني ، وهكذا نضب ما كان عندي من مال مما اضطرني الى الاستدانة من بعض المصارف . ووثق الجميع بي ، واستعدوا ان يقرضوني ما انا في حاجة اليه لان اسمي كان حسناً ، ومركزي المالي كان في نظرهم متيناً وثابتاً . ولم اعر بادىء الامر تلك الموجة الاقتصادية اهتماماً كبيراً لاني ظننت ان حالتي المالية لا تتأثر من مثل هذه الازمات الطارئة .

وكان لا بدّ من استدانة مبالغ طائلة لسند هذه المشاريع ودعمها اذ كان موكول الي ان امد تلك المؤسسات التي كنت السبب في انشائها بالمال اللازم لاستمرار وجودها . ولكن حدث ان اشتدت وطأة الازمة الاقتصادية اشتداداً هائلاً ، وتدنت الاسعار فجأة ، فاخذت المصارف تطالبني بالديون التي عليّ ، وتصرّ على ان اعيد اليها ما كنت قد استدنته منها . فشعرت عندذاك بالضائقة ، لاسيما بعدما اصابتني بعض الخسائر ، فتبين لي بان المال الاحتياطي الذي كان لديّ قد نقص كثيراً حتى كاد يتلاشى . ولم استطع ان اعوّض عن هذا النقص بالاستدانة من المصارف لانها كانت هي نفسها في حاجة الى المال .

وظننت بادىء ذي بدء ان هذه الحالة لن تدوم اكثر من بضعة ايام ، بيد انها استمرت عدة سنوات . لذلك كنت مضطراً ان اوقف مساعداتي المؤسسات التي تبنّيتها ، غير انني لم ارغب ان ارى جريدة الكريستشن هارلد تتوقف عن الصدور ، وتنحجب عن القراء . لذلك بعثت الى المستر بولنغ اطلب منه ان يستمر في اصدارها ليتسنى لها تأدية رسالتها واشترطت عليه الا ينتظر مساعدات مالية مني ، غير اني وضعت املاك الجريدة تحت تصرفه . وفي الوقت ذاته عملت على تصفية مشروع مزارع يني ، للحدّ من مسؤولياتي المالية والاقلال منها .

* * *

واستنتجت في النهاية الى هذه الحقيقة – وهي ان المال وحده لا يضمن النجاح لاي مشروع . فقد تعلمت درساً ان المال ليس السبيل

الى النجاح ، وليس هو من مقومات الحياة . فوفرة المال قد تحول دون التعلم من الآخرين ، والاستفادة من اختبارات المختبرين . فعندما تدفقت الاموال علينا لم نجد متسعاً للتريث او اخذ رأي الخبراء . ففي نشوة الازدهار المالي لم نفكر كثيراً في تفحص التربة لمعرفة انواع البذور الملائمة لها ، او نجد وقتاً لاختبار الفسائل المؤاتية لمناخ تلك البقعة . كما اننا لم نعنَ باختبار الاشخاص الاكفياء المناسبين للعمل . وما اسرع ما ظنّ الكثيرون انه ما دامت هذه المشاريع مدعومة بالمال الوافر فلا خطر عليها البتة ، ولا ضرورة الى وضعها على اسس اقتصادية متينة .

ولكن لا بدّ لي من الاعتراف ان الخطأ كان مني اذ حملت نفسي مسؤوليات كبيرة ، ساعة توسعت في مشاريعي ، وساعة اعتمدت على مالي وثروتي . لكن وضح لي في النهاية انه لا بدّ من توفر امور غير المال للنجاح ، وان ممارسة القاعدة الذهبية يتطلب شيئاً آخر غير الغنى . لان النجاح يعتمد على قوى روحية اصيلة ، وخلق صالح متين ، ونية حسنة طيبة ، وتطبيق القاعدة الذهبية تطبيقاً شاملاً في شتى مرافق الحياة .

* * *

ولشدّما أرغم المصرف الذي ساهمت فيه ان يقفل ابوابه عام ١٩٣٠ كما ان مؤسسات عديدة اخرى كنت اظنها ثابتة شاهدتها تنهار امامي وتتداعى . ومع ان مكانتي المالية كانت ممتازة الا انها تأثرت من الازمة الاقتصادية ، واخذت تتزعزع ايضاً . وبالرغم من انّ ثروتي ازدادت ومدخولي تضاعف مئات المرات عن السابق الا انه عندما داهمتني الازمة لم استطع الصمود في وجهها

اذ كنت قد اضعت راسمالي الروحي . وعندما احاطتني المصائب لم اعرف لمن التجيء ... ؟ انني لم اقترف جرماً بيد ان الناس بدأوا يتحولون عني عندما شعروا ان حالتي المالية اخذت تسوء ... وزادني هذا اقتناعاً انه من الخطأ الاعتماد على المال والجاه في هذه الحياة .

وبدأ المدينون يطالبونني بديونهم ، واشتغلت المحاكم بقضاياي فاستدعيت امام القضاء وكنت كلما مثلت امام المحكمة اقرأ آية من المزامير كنت قد كتبتها على قصاصة ورق : **بخوافيه يظلّلك ، وتحت اجنحته تحتمي ، ترس ومجنّ حقه** مزمور ٩١ : ٤ . كانت هذه الآية تعزيتي ، ولطالما رددتها واعدت كلماتها . فانا في زحمة الاعمال لم اجد وقتاً للافتكار بقوة الله ... ولكن الآن اصبحت اتطلع اليه خصوصاً عندما استعدت الى ذاكرتي نصائح والدي والحالة الشاذة التي وصلت اليها من جراء اهمالي ميراثي الروحي . فقد اهملت الاعتماد على الله ولم اعد الجأ اليه بل اتخذت لي من المال الهاً ومعبوداً ، وهذا كان سبب تعاستي وعدم استقراري .

استعدت حياة والدي ، فحزّ الالم في قلبي عندما تذكرت نصائحه ، وعندما شعرت انه كان باستطاعته الجمع بين الحياة العملية والحياة الروحية . فقلت في نفسي ليتني اكون مثل والدي واشابهه ... ! ولكن من اين لي ذلك ؟ وقد اخذت اعيش على هامش الحياة .. اصارع احداث الزمان لوحدي ... وساءت حالتنا المادية ، حتى اصبحت اعيش مع زوجتي في غرفتين وضيعتين . واستغنت زوجتي عن الخدم وبدأت تقوم بنفسها باعباء

العمل المنزلي . وحقاً انـه ليصعب على المرء ان يتذوّق نعيم الحياة ويراه بعدذاك يفرّ من امامه . فقد ولّى ربيع حياتنا واقترب شتاؤها . وكانت المشكلة التي تقلق بالي : هل استطيع انقاذ موقفي من الدمار ... ؟ !

* * *

وساءلت نفسي : اين طريق الخلاص ... ؟ أفي الانهزام ... ؟ فانا لم اعتد ذلك ... ؟ ايكون في التخلص من اتعابي باللجوء الى الانتحار ... ؟ ذلك لم يكن من طبيعتي ... واشتدّ حملي عليّ حتى كدت انوء من ثقله ... واخذت اسرّي عن نفسي بقضاء بعض الوقت في زراعة بعض الخضراوات حول المنزل الذي سكنّاه ، وكانت يد الدمار قد بدأت تدب في تلك الحديقة من جراء اهمالها . فشمّرت عن ساعدي واخـذت اقوم باعمال يعجز عنها عشرة من الرجال . وكانت التصورات والخيالات تلاحقني وانا اقتلع الاعشاب واروي التربة وكأني بتّ في حالة عصبية مخيفة . وكثيراً ما شدّدت عزيمتي ، لابدّد مخاوفي ، عساي اجـد لي منفرجاً لمشاكلي او منفذا للخروج من مأزقي . وتطلعت الى آفاق الحياة الروحية فاذا كلمات والدي ترنّ في مسمعي : **ان جيم يستطيع ان يقوم بذلك ...**

واخذت افـكّر في امري – هل سلبني احـد قوة ارادتي ... ؟ فتلك القوة كانت الراسمال الوحيد الذي بدأت اشق طريقي به في الحياة . وتلك الاختبارات التي اكتسبتها في حياتي العملية الاولى كانت سبب نجاحي وعلّة تقدمي . فما لي لا اعتمد عليها ، واعود اليها ... ؟! وهل اذا ما افلس الانسان في الناحية المالية يفلس في النواحي الاخرى من الحيـاة .

اجل لقد سدّت المنافذ أمامي ولم ادرِ ماذا اعمل ... ؟ فهل ثمة فائدة من لوم الآخرين ؟ ! وهل ثمة سبيل للخلاص عن طريق الانهزام واضاعة الاوقات ؟ !

ولطالما ظن الكثيرون انني اعتزلت العمل التجاري بيد انني ما برحت اتفقد فروع الشركة واتجوّل من مركز الى مركز . وقد علّمتني اختبارات السنين الماضية ان الانسان يخفق في الحياة اذا اعتمد على ثروته فقط . فنحن نعيش في عصر مادي ، والناس ينصرفون الى خدمة المال اكثر من اي شيء آخر .

وشاء المولى ان يضيء لي من وسط عدسة الآلام بنور سماوي يكشف لي عن خطته المثلى ... وللحال اخذت ادرك انه من الضروري ان اهتمّ بشيء آخر غير المال ... وهذا الاتجاه الجديد ملأ قلبي سلاماً ، واشاع السعادة في حياتي ... ورغم ان ثروتي كانت قد تضاءلت الا انني اصبحت اشعر بغنى يفوق ما كنت احظى به زمن لمعان نجمي في عالم التجارة .

وحاولت في كثير من الاحيان ان لا امرّ بالطريق المؤدية الى المصرف الذي رفع قضية عليّ لانني كنت احقد على اصحابه . الا ان الله لمس قلبي وتحرّك في اعماق ذاتي فما كان مني الا ان وجدت نفسي اجتاز تلك الطريق قسراً عني . وتحدثت عند مروري الى حارس المصرف وقلت له : ما اجمل النهار ! فاجابني انه حقاً لجميل . وهكذا عن طريق تبادل هذه العبارات القليلة شعرت بحمل ثقيل يزال عن ظهري . وبهذا محوت

ما علق بنفسي من حقد ، وطهرت قلبي من ادران ما لوّث سريرتي .

واتيح لي عام ١٩٥٠ ان ازور ميامي ، فاندهشت من تلك المدينة التي بانت امامي كفردوس ارضي . فشكرت الله على نعمه ، وشعرت بفضل الله وبركاته عليّ وعلى جميع مخلوقاته . وبفضل الله اخذت انسى آلام الماضي واتطلع بنفس مؤمنة الى المستقبل . وما اجمل ان يدرك الانسان ان وراء غيوم الحياة ما زالت شمس مشرقة ... !

وتوالت عليّ الازمات ، واخذت تشتدّ وتتفاقم ، وتداعى معظم المؤسسات التي تبنيتها . واظلمت الدنيا في وجهي ، واسودّت مسالك العيش امامي ، تخلت الجميع يعمل ضدي حتى اصدقائي وافراد اسرتي . وتوترت اعصابي فاصبحت اعيش في اضطراب وقلق ، وفرّ النوم من عينيّ ، فاخذت اقضي لياليّ ساهراً معذباً . . .

استشرت احد اصدقائي من الاطباء في امري فاشار عليّ بدخول احد المصحّات وطلب الي ملازمة فراشي ، جاعلاً ممرضتين تعتنيان بخدمتي واحدة في الليل واخرى في النهار . ففزعت من هذا القرار اذ لم تكن حالتي المالية تساعدني على سدّ هذه النفقات الباهظة المترتبة علي . وخشيت ان اصرّح للطبيب عن عدم استطاعتي تحمّل هذا العبء المالي لانه كان يعهدني صاحب ثروة كبيرة ، وقد يكون تصريحي بان لا مال عندي

مثاراً لشكه وسوء ظنه ...

وعمدت الى تناول بعض المخدرات عساني بواسطتها اتخلص من الارق المضني واتمتع بنوم هادىء هنيء . لكن هيهات لي ان اهنأ بنومي واعصابي متوترة وحالتي قلقة ... وكنت افكر ان نهاية حياتي قد دنت ، وانه لن يبزغ فجر الغد الا واكون قد فارقت الحياة . وتزاحمت هذه الافكار المظلمة في مخيلتي حتى انني كثيراً ما نهضت وسط العتمة واضأت المصباح الكهربائي ، وبدأت اكتب بعض الرسائل الوداعية . وعندما كنت انتهي من كتابتها اعود الى فراشي مستسلماً للكرى متوقعاً ألاّ اظل حيًّا لليوم الثاني ... بيد انني كنت استفيق عند الفجر لاستقبل نور نهار جديد ... غير ان شعاعة الرجاء كانت قد انطفأت من قلبي ، وحلكة الظلام ملأت نفسي لانني كنت اتصرّف كمن يعيش في فراغ ...

* * *

وفيما انا ذات يوم اذرع جنبات منزلي اذا انغام ساحرة وترانيم جميلة تدوّي بالقرب من مسكني . فاصغيت الى الترانيم ، فاذا في كلماتها بعض العزاء لنفسي . وكان المرنمون يرددون كلمات القرار التي انعشت فؤادي : « لا تيأس فالله يعتني بك » . وجاءت هذه الاصوات من كنيسة مجاورة . فدنوت من مبعث الصوت واخذت اصيخ بسمعي الى كلمات التعزية التي كان يتلوها القسيس من كتاب الله . فسمعته يقرأ من الإنجيل هذه الآية : « تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم » . فتأوهت وزفرت ... وتنفست الصُعَداء . وقلت حقاً انني لا استطيع ان

اعمل شيئاً لوحدي ... وليتني ادرك ان الله يعتني بي ...

وما هي الا بعض الدقائق الفاصلة حتى شعرت بشيء غريب ينتابني . واني اعترف ان ذلك الاختبار الذي حصل لي كان عجيباً يتعذّر عليَّ توضيحه او تفسيره . فربّ معجزة تكون قد حصلت لي ، فنقلتني من الظلمة الى النور . لانني ادركت ان الله بمحبته الفائقة قريب مني ، ويعتني بي ويساعدني ... انني دعوت الله وهو قد استجاب لي ... انني القيت همّي عليه وشعرت انه لا يتركني ... اجل انني احسست بحمل ثقيل يتزاح عني ، وللحال تغيّرت تغييراً كلياً كمن خلق خليقة جديدة ...

ودخلت الكنيسة بنفس كئيبة ، وبروح مضطربة ، وبقلب كسير ، غير انني خرجت منها بنفس متسامية ، وبقلب متحرّر من قيود العبودية . وخيّل اليَّ انني شاهدت الله يدنو مني ، وينشلني من ظلمة الموت الى مواكب النور واضياء الحياة الجديدة ...

* * *

وتوضح لي بعدذاك ان مرضي كان ناجماً عن بعض الاوهام والافكار السقيمة التي استحوذت عليَّ . وانني حالما بدأت اغيّر افكاري اخذت اشعر بالشفاء . وكانت مهمتي ان اتحرّر من قيودي ، وانعتق من الربط التي قيّدت نفسي لاسير في طريق الله . وكنت حتى ذلك العهد ملازماً المصح ، الحّ على الطبيب ان يأذن لي بمبارحته لكنه كان دوماً يطلب مني التريث والانتظار . وحدث ان اقيم مؤتمر كان لا بدّ

لي من حضوره ، فطلبت من الطبيب ان يأذن لي بذلك ، فتمنع بادىء الامر خشية انتكاس صحتي ، غير انه اجابة لالحاحي سمح لي في النهاية ان احضر جلسته الافتتاحية . واني اعترف بان قوة جديدة دبّت فيّ وانا في المؤتمر مكّنتني من حضور كل الجلسات دون ان اشعر باي علة صحية او ضعف جسدي .

وكان همّي الاوحد ان اسعى لتنقية نفسي من الغيوم التي شوّهت حياتي ، وعكرت صفو سعادتي . وتبيّن لدي ان اهم ما استطيع ان اعمله لتحقيق هذه الامنية هو اعطاء المسيح مكاناً ايجابياً في حياتي . فانا اعتمدت في الماضي كل الاعتماد على نفسي ، وظننت ان هذا كان السبب في النجاح الذي واكبني وتجلّى في شتى مرافق اعمالي ، لاني انصرفت بكليتي الى تحقيق النجاح العالمي ، وزيادة مدخول شركتنا ، غير انني كنت مهملاً واجباتي للكنيسة ، غير مهتم لنشر روح الاخاء بين الناس . وعندما قرأت كلمات الانجيل « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه متى ١٦ : ٢٦ » وتمعنت في قول المسيح هذا وجدت ان لهذه الكلمات معنى جديداً في نفسي وتوجيهاً خاصاً لحياتي .

فمنذ بداءة عملي في مدينة كمور وانا اعيش لنفسي ... غير ان الحقيقة تجلّت امامي الآن اذ توضح لي بان سلوكي لم يكن مرضياً عند الله . انني ظننت نفسي عظيماً عندما حصلت على ثروة طائلة واصبحت في طليعة التجار ، غير انني لم اكن لادرك قيمة ما وهبني

اياه الله ، ولم اكن لاستخدم قواي في سبيل تنفيذ خططه ، وخدمة ملكوته .

* * *

ولم يكن بالامر الهيّن عليّ معرفة ارادة الله العلية لانني لم اعتد الصلاة فقد كنت اجد صعوبة في الجلوس يوماً بعد يوم للصلاة ، واذا ما صليت فلم اصلّ باتضاع محاسباً نفسي على اخطائها ونوازعها الاثيمة وطالباً من الله العلي ان يرافقني بعنايته ويشملني بنعمته .. لكنني الان عن طريق الصلاة الانفرادية المستنيرة اصبحت المس اموراً جديدة ... فقد اكتشفت انه اذا سمحنا لله ان يعمل فينا فانه يمدّنا بكل قوة نحتاج اليها .

وكان الدكتور شورت قد وجّه انظاري الى ضرورة اعارة الامور المهمة اهتماماً خاصاً . وعندما استعرضت ماضيّ وجدت نفسي انني كنت احاول الجمع بين امرين متناقضين اذ جعلت علاقتي بالله وبشركة بني مرتكزة على المال . وهذا خطأ لانه من السهل ان يقدّم المرء شيئاً من ماله في سبيل الاعمال الخيرية ، بيد انه ان لم يتعلّم ان يقدم نفسه لله فانه يكون بعيداً عن الحياة المثالية التي يتطلبها الله منه . وما اكثر ما يظن الناس خطأ اننا لا نستطيع خدمة ملكوت الله الا عن طريق المال ... !

* * *

ودُعيت ذات يوم لالقي حديثاً من محطة اذاعة دينية . وحدث ان سمع قسيس الناحية بذلك – فاعلن بدوره عن منبر كنيسته انني سأكون

واعظهم في الاحد القادم . وتردّدت بادىء الامر في قبول هـذه الدعوة بيد ان القسيس كان قد وضعني تحت الامر الواقع . ولم اجد أنسب من التحدث عن ميراث والـدي الروحي ، فاتخذت من قصته وحياته موضوعاً لعظتي . وعندما توجهت للاذاعة اشار عليّ القسيس ان اذيع على الناس ما وعظت به من منبر الكنيسة يوم الاحد . فاستنسبت مـا قاله لي ، وبالفعل اذعت على الناس العظة التي القيتها في الكنيسة .

وشق عليّ ان ارى شركة بني وباقي المشاريع التي ساهمت فيهـا تتقهقر وتتدهور ، لذلك بادرت الى اعادة تنظيم تلك المؤسسات ووضعها على قواعد جديدة . ورغبت ان اسلّم ادارتها الى اناس هم اصحاب مهارة فنية ومن ذوي الاخلاق الفاضلة والمبادىء الشريفة . وانني بانتهاج هذا النهج استطعت ضمانة استمرار اعمال هذه المؤسسات ونجاحهـا . ورغبت ان افهم الجمهور ان تلك المؤسسات الزراعية التي تبنيتها لم انشئها لمصلحتي الخـاصة ولتكون ملهاة لي ، بل هدفت من ورائهـا خدمة جمهور الشعب . فهي مدعاة لجلب الارباح المادية لجميع المساهمين والشركاء ... وهي ايضاً تعنى باعداد اصناف جديدة من الدواجن للمزارعين الذين بحصولهم عليها يستطيعون تحسين احوالهم ، وخدمة مجتمعهم وبالتالي خدمة البشرية جمعاء .

* * *

ومرّت بي اعوام قاسية عندما عصفت الشدائد في وجهي ، وهدّت الازمات صروح امالي ، بيد انني صمدت امامها ... وها اني الآن استعيد مكانتي ، واركز مشاريعي واضعاً اياها على قواعد جديدة . وقد كانت

كلمات والدي المشجعة : « ان جيم يستطيع ذلك » تشدّد عزيمتي ، وتمدني بقوة للاندفاع والانطلاق . واجرأ على التصريح بان اختباراً جديداً توضح لدي : وهو انني لا استطيع عمل شيء عظيم لوحدي . اجل كثيراً ما شعرت باحساس علوي افهمني انني بمعونة الله استطيع عمل كل شيء . وما اكثر ما هتفت مع الرسول بولس قائلاً : « استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني »

الفصل الرابع عشر

لم يكن ثمة ما يحول دون انضمامي الى عضوية احدى الكنائس مع انني كنت دوماً اتردد على بعضها . وشعرت طيلة السنوات الماضية بان الله قريب مني . بيد انه تقضي التجديد والولادة الجديدة واتاني هذا بصورة مفاجئة ، وبطريقة غير منتظرة ، اذ حدث ذات يوم ان طُلب مني القاء كلمة في اجتماع احدى المدارس . فاخترت موضوعاً لحديثي : « تطبيق المبادىء المسيحية على العمل » . وكنت في شتى المناسبات اتحدث عن هذا الموضوع لان لي بعض الاختبارات فيه ، ولانه يرتكز على المبدإ الذي وضعه السيد المسيح عندما قال : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

وكثيراً ما اساء البعض فهم هذه الآية اذ اخذوا يفصلون بين الاعمال اليومية التي نمارس في الحياة الاعتيادية وبين حياة الدين التي تتجلى

ضمن قاعات الكنائس . وغرب عن ذهن هؤلاء ان واجب الانسان واحد سواء أكان في الحياة العملية ام في الحياة الدينية ... وسيّان امام الله اكنّا نعمل بالتجارة ام نخدمه في الكنيسة ... فمن لا يقدّم احسن ما لديه لا يقوم بواجبه المترتب عليه خير قيام ... ويخطىء اولئك الذين يتعاطون التجارة ويتوقعون الارباح المادية فقط دون العناية بتقديم احسن ما لديهم لله . واني لعلى مثل اليقين ان النجاح في الحياة يمت بصلة وثيقة الى روح الانسان ومدى نزوعه العلوي .

* * *

وكانت حياة والدي تنتصب دوماً امامي كمثل ناطق عن هذه الحقيقة . اذ استطاع ان يجمع بين هذين النوعين ، ويوفّق بين خدمته كقسيس ، وبين عمله كمزارع . ولم يجد فرقاً في تأدية واجباته سواء أكان ذلك في المزرعة ام في خدمته الدينية . أو ليست هذه الناحية مفتاح النجاح ، وسراً من اسراره ... ؟ !

وكثيرًا ما نشاهد البعض يحصلون على المراتب العالية بحيث تسلّم اليهم قيادة من كانوا زملاء لهم . في حين ان اخرين غيرهم لا يحصّلون سوى مرتبة حقيرة في قريتهم المنعزلة ، وليس ثمة تعليل لنجاح الفريق الاول سوى انهم يقدمون احسن واثمن ما عندهم من مواهب واوقات لانجاح عملهم . ولم يحصل والدي على شهرة عالمية انما استطيع القول انه كان ناجحاً لانه كان عاملاً امينا ورجلاً مضحياً . وليس غرضنا من الحياة الكسب

المادي او المغانم الارضية بل جلّ ما نعيش من اجله هو تحسين الاوضاع وبناء عالم افضل واحسن ...

* * *

ولقد اتخذت ستة مبادىء جعلتها اساساً للنجاح في الحياة .

اولاً : انني آمنت بضرورة الاستعداد وعدم الارتجال في الاعمال .

ثانياً : وآمنت بالعمل الجدّي ، اذ كل عمل يُكتب له النجاح يتطلب مثابرة وجداً واجتهاداً .

ثالثاً : وآمنت بالامانة في العمل كأن يعطي الانسان اكثر مما ينتظر ان يأخذ – لان العطاء افضل من الاخذ .

رابعاً : وآمنت بضرورة اكتساب ثقة الناس ، لان لدى الكثيرين مواهب دفينة وامامهم امكانيات مخبوءة تنتظر المجال والظرف المؤاتي لاظهارها .

خامساً : وآمنت بضرورة الاعتماد على قوى الروح – « لان الحرف يقتل اما الروح فيحيي » .

سادساً : وآمنت باهمية تطبيق القاعدة الذهبية – تلك القاعدة التي علّمها سيد البشرية قبل الفي سنة والتي تقول : **كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم هكذا بهم** . متى ٧ : ١٢

ويخيل الي ان القاعدة الذهبية هي ناموس المحبة ، وهي في قرارة كل دين . ولاحظت ان الكثيرين يخشون تطبيق هذه القاعدة الذهبية في

معاملاتهم اليومية ، فاهمال هذا المبدأ هو اهمال في حقوق الانسانية جمعاء . وهذا الاهمال كان السبب في ايصال العالم الى حالته الحاضرة المضطربة . وكثيرون حالت انانيتهم دون تطبيق هذه القاعدة الذهبية متناسين المبدأ الثاني الذي وضعه المسيح عندما قال : من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من اجلي يجدها ...

وكما ان البذرة لا تشقّ طريقها الى الحياة الا بعد ان تدفن في التربة وتموت هكذا فلن ينال النجاح احد ما لم يعتد صاحبه ان يبذل نفسه ، ويقرن عمله ببعض التضحيات . ولا مراء فالتضحية في قرارة كل عمل ناجح واني قد اختبرت ذلك بنفسي ، واصرّح بان الكثيرين لم يستلموا اعمالاً في شركتنا لانهم تجردوا عن روح التضحية ولم يكونوا مستعدين لها . هذه هي الافكار التي تراءت في مخيلتي وانا في طريقي الى تلك المدرسة التي دُعيت لاتحدث الى طلابها .

* * *

ومرّ عليَّ زمن قبل ان انضممت الى احدى الكنائس ، مع انني كنت في الماضي احضر اجتماعات الكنيسة . لكنّ حضور الكنيسة شيء ، وتسليم النفس لله شيء آخر . غير انه حدث ذات يوم ان برق نور خاطف امامي اضاء لي ظلمة حياتي ، وانتشلني من الحياة العتيقة الى افياء عيش جديد . فسلمت ذاتي لله وطلبت ارشاده . واخذت ادعو الى تطبيق المبادىء المسيحية المتجسمة في القاعدة الذهبية . وناشدت رجال الاعمال ان يسيروا بموجب وصيتي المسيح العظيمتين وهما محبة الله ومحبة القريب . وقد

شعرت ان تطبيق هذه المبادىء ليس من الامور المرغوب فيها فحسب بل من الامور الاساسية والضرورية للحياة الكاملة . ومما لا ريب فيه ان في السير بموجب هذه التعاليم السامية ينال المرء راحة البال ويضمن النجاح الاكيد . اذ لا سبيل للنجاح الدائم سوى عن طريق الخدمة النافعة ، وبالاتصال بالله عن طريق الصلاة ، وبتسليم دفة الحياة لله القدير والربان الحكيم .

والقيت الخطاب على جمهور الطلاب ، وعندما انتهيت منه جاءتني دعوة من قسيس الناحية لالقائه من منبر الكنيسة . وقال لي في دعوته : ان كلامك مملوء بالحكم والمواعظ وانه ينبع عن اختبارات عميقة جديرة بان يسمعها الآخرون . وقبلت الدعوة ، وقصدت يوم الاحد الى الكنيسة ، فتقدمني القسيس الى المنبر ، وهناك شاهدت مائدة الرب مهيأة امامي . وما اسرع ما انتابتني هزة حملتني لان ادنو من القسيس واهمس في اذنه قائلا : اني لم اتقدم قبلا الى مائدة الرب ... فاجابني القسيس : او لست مسيحياً ... ؟! وهل ثمة ما يضيرك لو اشتركت معنا في العشاء الرباني...؟!

* * *

وازدحمت مخيلتي بالذكريات . فتمثل والدي امامي ساعة حرمته الكنيسة . وتذكرته وهو يحتمل ذلك القرار الجائر بصبر ، ويطلب لمن اساءوا اليه المغفرة من رب السماء ، لانهم لم يكونوا ليعرفوا ما هم صانعون ... وفي غمرة ذكرياتي انشد جمهور العابدين ترنيمة مثيرة اخترقت كلماتها اعماق قلبي . فقد تعالت الاصوات بانشاد تلك الكلمات : لا تخف فاني معك . وتجسمت هذه العبارة امامي اذ خلت نفسي اسمع صوت

والدي وهو يشدّد عزيمتي . ولاول مرّة شعرت ان الخوف بدأ يتركني . وان هذا النداء السماوي موجّه اليّ والى كل انسان نظيري .

وللحال تقدمت من مائدة الرب واشتركت مع الجمهور في تناول العشاء الرباني وتأثرت كثيراً من الآيات التي قرئت على مسمعي والمأخوذة من انجيل يوحنا الاصحاح الخامس عشر . فما احلاها من كلمات تعزية يقولها المسيح : **ان حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما اني انا قد حفظت وصايا ابي واثبت في محبته** ... وبقيت طيلة النهار افكّر في تلك الاختبارات المشرقة التي حصلت عليها . وعند المساء كتبت لزوجتي اقول لها : انني مستعدّ لان انضم للكنيسة اذ شعرت بحلاوة تجديد الحياة ، وبتيار روحي يتموج مع خفقان قلبي ، حاملاً اياي الى افياء دنيا جديدة .

وعلى الاثر اصبحت مولعاً بالكتب الدينية . فانعكفت على مطالعة كتاب « اعظم ما في العالم » لمؤلفه هنري دريمونـد . وكان من جراء مطالعاتي المستأنية لكلام الله ولاطلاعي على هذا السفر الذي يبحث عن المحبة ان اصبحت ادرك معنى المحبة الالهية ادراكاً حقيقياً . فالله محبة ، والحياة الابدية ليست سوى معرفة الله ... وبدأت اتمعّن في معاني الصلاة فادركت انها علاقة تربط الارض بالسماء ، والانسان بخالقه . ولطالما تقت ان افهم ارادة الله ومشيئته ، فوجدت انني عن طريق الصلاة استطيع فهم هذه المشيئة فهماً اوسع واعمق .

وطلب اليَّ ان اقوم برحلات الى بعض المقاطعات البعيدة كمندوب عن الحركة العلمانية لتثبيت مبادىء المسيحية في الحياة اليومية . وآتاني الحظ للتعرف اثناء تنقلاتي على بعض الغيورين من عصبة الصلاة المنصرفين الى التأمل الروحي ، والعاكفين على حياة الصمت والاصغاء . وكذلك انتخبت لامثل عصبة الصلاة لحضور اجتماعات هيئة الامم في ليك ساكسس . ومما لا ريب فيه ان الصلاة ضرورية من اجل اولئك القادة الذين تسلّموا زمام العالم . ولا ندحة في ان عالمنا يفتقر دائماً الى قادة يعملون لنشر روح الحق والخير ... ولبذر بذور التفاهم والسلام بين افراد الاسرة البشرية الكبيرة .

وانتدب الدكتور فرانك لوباخ عام ١٩٤٦ لينظم فرقاً للصلاة في مدينة باريس ، وكان افراد تلك الفرق يصرفون قسماً من اوقاتهم كل يوم في الصلاة ، مصلين من اجل المندوبين المجتمعين في مؤتمر السلام . فكان اعضاء فرق الصلاة يحضرون اولاً الاجتماعات العامة ، ثم يختلون لانفسهم صارفين بعض الوقت في الصلوات الانفرادية ، ، طالبين من الله ارشاد القادة لبناء عالم افضل وأمثل ...

ومفاهيمي للصلاة تتلخص في ان نظل مواظبين عليها ، فلا نمارسها في الصباح ثم نهملها بقية النهار ، وليس من الضروري ان نتقيّد بمكان او زمان ، او نحصرها باحد الاوضاع والاشكال . فقد ينهج كل فرد نهجاً خاصاً في ارواء تعطشه الروحي باتصاله بينبوع القوة السماوية . ولا بدّ لي من الاعتراف انني في الماضي كنت اعتمد على نفسي ، اما الان فاصبحت

ادرك انني افتقر الى قوة من السماء ، وارشاد من العلاء ، وانني لن انال هذه الامور الا عن طريق الصلاة ...

وحببت الي الصلاة مواصلة المطالعة في الكتاب المقدس . فقد كان الكتاب دائماً بجانبي وقرب وسادتي . واني اعتقد جازماً ان معظم مساوىء هذا الزمان ليست ناجمة عن جهل الناس للروحانيات ، بل سببها انهم لم يتعلموا كيف يعيشون عيشة روحية حقيقية . ففي الماضي كنت اعتمد على برامج تهذيبية اما الان فاراني اتطلع الى الاعتماد على الله ، والى معرفة مشيئته والعيش بموجب ارادته ...

وكثيراً ما تقدم الي احد الموظفين ليصافحني ويقول لي : انه ليسرنا كثيراً ان نجد مسيحياً يحترف التجارة وينجح ... وانه ليؤسفني حقاً انني اضعت سنين كثيرة قبل ان انفتح قلبي الى هذه الرؤى السماوية التي كانت في متناول يدي . بيد انني اشكر الله لانه عاد ففتح عيني اليها عن طريق الصلاة ، وارشدني الى ما استطيع عمله لخدمة ملكوته السماوي على هذه الارض .

الفصل الخامس عشر

أتمنى لو عدت طفلاً لابدأ حياتي من جديد . ولو طُلب مني ان اذيع رسالة على الشباب لخاطبتهم بهذه الكلمات : لا يتطلب النجاح من صاحبه ان يكون عبقرياً – وانا خير شاهد على هذه الحالة – فقد تركت منزل والدتي تحت اقسى الظروف واشدّها . وما كنت اشعر انني من العباقرة ، لان العبقرية ليست من صفاتي غير انني على مثل اليقين ان كل شاب مزوّد بلون من الوان المقدرة والذكاء ، وحاصل على خلق متين او ارادة قوية ، وكان مستعداً للمخاطرة والمجازفة لا بدّ له من الفوز والنجاح رغم تلك المصاعب التي تعترض سبيله ، والعقبات التي تبرز امامه . وطريق الظفر له مراحل ثلاث : الاولى **الدهشة والتساؤل** والثانية **الرويا والتجلي** والثالثة **المغامرة والاقدام** .

وتراني ارثي لحالة اولاد الاغنياء الذين تجردوا عن حوافز الانطلاق في حين ان ابناء الفقراء تنفتح ابواب النجاح لهم لان الدوافع للجدّ والعمل

متوفرة لديهم . وكما لا يخفى فانا لم ارث مالاً عن والديّ لان حالتهما المادية كانت سيئة ... لكنني في الوقت ذاته لم اشكُ في يوم من الايام جوعاً لقلة الطعام ، ولمَ ارتجف من البرد لانعدام اللباس . ولكني لا انكر ان والديّ كانا السبب في دفعي الى معترك الحياة ، وتعويدي حياة الجد والعمل . فعندما خرجت الى العالم وجدت نفسي مزوداً بهذا الميراث الخلقي والثروة الروحية . والفضل فيها راجع الى والديّ اللذين امداني بتلك الموارد ، واقتاداني الى تلك المناهل

* * *

ولطالما سمعت الناس يوجهون اليّ هذا السؤال : ما سبب ازدهار مؤسستكم ...؟! وما كنت اتمهّل كثيراً لاجد جواباً على هذا السؤال لان نجاحنا كان نتيجة تفهمنا معنى القاعدة الذهبية ، وتطبيقها في شتى المعاملات ثم اننا عُنينا بالامور ذات القيم الخالدة ، وعملنا على خدمة الناس . ولا يخفى ان الفرص مفتوحة امام الجميع للخلق والابداع ، والامتداد والانطلاق . ولا بدّ لمن يبغي النجاح ان يبذل حياته لكي يربحها ، ومعنى ذلك ان يتفانى المرء في عمله تفانياً متناهياً . ويخطىء من يظن ان النجاح يأتي من طريق الصدفة ، او بضربة من ضربات الحظ ، بل يتحقق النجاح عن طريق العمل ، وبذل النفس .

وقد تكون اوقات فراغنا نعمة لنا او نقمة علينا . وهي بركة للشباب اذا استفادوا منها في تحسين احوالهم ، وزيادة معارفهم ، وهي تجلب عليهم الخير اذا استغلّوها ساعة يتسلّمون زمام عمل افضل وذي مسؤولية . واذا

تكلمت عن نفسي فانا لم اتعلم تعليماً عالياً ، ولم اتخصص في احدى المهن ، بل حالما انهيت دراستي الابتدائية وبعض الفصول الثانوية دخلت ميدان الحياة العملية اذ التحقت بمخزن القاعدة الذهبية ...

وقد يفرض علينا الزمان ان نغير شيئاً من وسائلنا وطرقنا ، الا ان شيئاً واحداً يبقى ثابتاً – ولن يتغير – وهو روح المحبة والخدمة والتضحية . فهذه الفضائل الروحية تستمد قوتها من ينبوع اعلى من ذلك الذي نستمد منه كفاءتنا الفنية او المهنية . وها هي الكثير من الامور تحصل عليها عن طريق الايمان . ذلك الايمان الذي يجب الا يكون عبداً للخرافات .

* * *

لا يطلب الآب السماوي من بنيه شيئاً سوى ان يعملوا الرحمة ، ويعيشوا باتضاع مع اخوانهم . ولزام عليهم ان يصلوا ويخدموا ليحصلوا على النور الذي يضيء لهم طريقهم . وسمعنا تصريحاً للرئيس ثيودور روزفلت يقول فيه : انا لا ارغب ان تكون الحياة اسرة من الورد – بمعنى اني لا انشد حياة سهلة ناعمة – بل انني ادعو الى حياة عنيفة تتطلب جهداً وتضحية وبذل نفس . واني ارى النجاح يُكتب لمن لا يرهب المخاطرة والمصاعب ولا يسلك طريق الحياة السهلة .

ويتطلب النجاح التنظيم في العمل ، ورسم الخطط ووضع البرامج . ولطالما استهواني ما قام به نحميا عندما عاد من المنفى الى اورشليم . فقبل ان يشرع بترميم اسوار تلك المدينة المهدمة طلب ارشاد الله ... ثم انكب على عمله ، وثابر عليه ، ولم يترك الاسوار حتى اعاد رفعها . وكلنا

بناة اسوار لملكوت السماء على هذه الارض . فلا بدّ لنا ان نختبر مع مرور الزمن تأثير تلك القوة السماوية التي تدفعنا الى التنظيم والاتقان .

* * *

وكثيرًا ما يظن الاحداث خطأ ان حياتهم تبدأ عندما ينهون دراساتهم ويدخلون ميادين الاعمال . انما هذا تعميم خاطىء. لان بذور الحياة تتفتح يوم الولادة ، وساعة المجيء الى هذه الدنيا . فمنذ ان يفتح الطفل عينيه للنور ويصرخ اول صرخة تبدأ الحياة تمدّه باختباراتها ، وتكوّن شخصيته ، وتضعه على المحك لتعجم عوده . ويسير الرواد واصحاب الرؤى الى الامام بعد ان يكونوا قد رسموا الخطط ، ووضعوا البرامج . وتراهم مستعدين دوماً لتحمّل المسؤوليات ، والتعاون الوثيق والتدرّب على العمل المشترك .

ومن يروم النجاح لا يهتم بناحية عمله فقط ، بل يعير اهتماماً للعمل الانساني الواسع . انه يشبه العازف على احدى الآلات الموسيقية في الجوقة الكبرى ، فليس همّه ان يتقن العزف على آلته منفرداً ، بل يجعل همه تناغم اصوات الجوقة باسرها ، فلا يكون صوت منها نافراً وغير منسجم .

وبدأت عملي التجاري بموظفين هما انا وزوجتي . وهذا كان نواة لشركة بني التي تضم في الوقت الحاضر قرابة ٧٠٠ الف موظف . وبحكم ارتباطي بهذا العدد الغفير من الموظفين فقد اتيح لي التحدث اليهم والاحتكاك بهم . واعتماداً على خبرتي استطيع ان اصرّح انه لا يمرّ يوم في حياة الشباب تنعدم فيه الفرص امامهم ، اذ هم يملكون بعض النواحي التي فيها

يجدون متنفساً لقواهم . وما على صاحب المواهب الآ ان يستجيب لتلك الدوافع الداخلية ، ويوجهها الى غايات شريفة ونبيلة .

غير خاف ان كثيرين من اصحاب العاهات استطاعوا التغلب على نقائصهم الجسدية ، وجعل حياتهم مثمرة ومفيدة . وفي عام ١٩٢٩ تقدمت جمعية الصليب الاحمر بطلب الى شركتنا لتسعى لاستخدام فريق من اصحاب العاهات . وبعد التفاوض فتحنا المجال امـام هؤلاء للدخول في شركتنا ، واستخدام مواهبهم ، علّهم يستفيدون من الفرص التي قدمناها لهم . وبعد التجربة والاختبار تبيّن لنا ان الكثيرين استطاعوا تحقيق مطالبنا بعد ان ثبتوا اقدامهم في شركتنا واحرزوا مناصب يحسدون فيها عليها .

واني اذكر شخصاً كان يشكو الماً في رسغ يده ، غير انـه من جراء اجتهاده اصبح مديراً لفرع التوزيع ... وكذلك اذكر سيدة التحقت بشركتنا وهي تسير على العكاكيز ، لكنها بجدها استطاعت ان تكون المسؤولة عن الفتيات العاملات على الآلة الكاتبة ... واذكر ايضاً ذلك الرجل الذي استخدمناه وهو بيد واحدة لكنه بمثابرته استطاع اتقان عمله في تشغيل الآلة الناسخة حتى اصبح الاختصاصي الماهر فيها ...

وزرت ذات يوم اثناء تجوالي مطعماً تابعـاً لشركتنا في مدينة سان لويس ، حيث شاهدت عدداً من الموظفين يجلسون حول موائد الطعام وهم يتفاهمون فيما بينهم عن طريق الاشارات . فادركت ان هؤلاء كلهم بكم فقدوا حاسة النطق ، غير انهم بالرغم من عاهتهم هذه كانوا يشعرون بالغبطة والارتيـاح . واستفسرت عن احوالهم فقيل لي ان كلاً منهم

متسلم ادارة محل مسؤول . وهم سعيدون اذ اتيحت لهم فرصة العمل والاستفادة من مواهبهم . وانه ليسرّني ويثلج صدري ان ارى شركتنا تقدم بعض الفرص لاصحاب العاهات بحيث يتسنى لهم اظهار مواهبهم والاستفادة من ظروفهم بالرغم من عاهاتهم .

* * *

وفسحة الحياة طويلة ، والحياة سخية تجود لمن يخلص لها ، وهي نفسها تدافع عنا . ويجدر بكل انسان ان يمثل دوره احسن تمثيل في لعبة الحياة الكبرى مع انها لا تجعل طريقة العمل سهلة امامنا . انها لا تسدّ الابواب في وجوهنا وان كانت تجعلها صعبة الفتح . وكل من ينتهز فرص الحياة ، ويجعل الدقائق الفاصلة تتحكم في ظروفه فانه لا بدّ ان ينجح . وكل ما يعوز المرء هو الثقة بنفسه ، مع توفر الدوافع اللازمة للعمل والانطلاق . وقد دلّت التجارب وأيدت النتائج هذه الحقيقة : ان الايمان يكوّن الرجال ويزعزع الجبال .

وما اكثر الاحداث الذين تركوا اهلهم وذويهم وشقوا طريقهم في الحياة . فاولئك العصاميون جابهوا كل صعوبة ، واظهروا كل تضحية . فكانت النتيجة انهم تسلّموا اعلى المراتب ، ووصلوا الى ذرى المجد .

وحدث ذات يوم وانا في جولتي التفقدية للمراكز الفرعية لشركتنا ان علم مدير احد الفروع بوجودي في البلدة التي يعمل هو فيها . فقدم لتحيتي والسلام عليّ . واثناء اجتماعي به قال لي : انني أُصبت بشلل الاطفال في صغري ، وظننت انني لن استطيع العمل متى كبرت ، غير ان شركتكم فتحت المجال امامي وشجعتني لولوج ميدان الاعمال التجارية .

فانا بالرغم مما تركه الشلل من اثر على جسمي اشغل وظيفة مدير لاحد فروعكم في هذه الناحية ...

واخذت هذه الحقيقة تتضح امامي وتنجلي اكثر فاكثر ، وهي ان الشدائد التي تعثور سبيلنا انما تطهّر نفوسنا وتصقل شخصياتنا وتحمل معها بذور مستقبل زاهر زاه . وكل ما في هذا الوجود مرتبط بعضه ببعض ، وليس شيئاً منفصلاً تمام الانفصال عن الآخر . فالشر موجود وسط الخير — ويشوّه عالم الجمال بالاشياء الرديئة — والرخاء يجرّ في تياره اصحاب النفوس الصغيرة في حين ان اصحاب النفوس الكبيرة تبرز اوقات الشدائد ، ووسط الصعوبات . وما كانت مشيئة الله ان نستسلم للتجارب ، ونفقد صفات الرجولة اوقات الترف والرخاء .

واعتقادي ان طلب النجاح ظاهرة عمومية ، ولذلك كان لزاماً على من يبغي النجاح ان يستمدّ قوته من العلاء عن طريق الصلاة . وقد ادرك الحكماء قديماً وحديثاً قيمة الصلاة اذ وجدوا فيها صلة صوفية تربطهم بالكائن الاعلى — ذلك الكائن الذي وان اختلفت الاسماء التي نطلقها عليه هو هو لا يتغيّر . وسرّ القوة في الصلاة لا تنبثق عن الفكر والعقل بل عن الايمان والقلب . ولا تستجاب الصلاة التي نقتصر فيها على الطلبات المادية بل المهم في الصلاة الالتقاء على صعيد الحياة الروحية بالرفيق الاعلى والتناغم مع ارادته السماوية . وقد اوصانا المسيح في انجيله قائلاً : **اسألوا تعطوا - اطلبوا تجدوا - اقرعوا يفتح لكم ...**

واتاحت لي الظروف ان القي بعض المحاضرات في كلية وستمنستر وكان قد رتبها المستر جون غرين لتحسين العلاقات الانسانية عن طريق نشر الرسالة المسيحية . وتبنّت مؤسسة غرين تنظيم سلسلة من المحاضرات لبسط مشكلات العالم وتفهمها . وقد عالج ارباب الاختصاص فيها المواضيع الاجتماعية والاقتصادية على ضوء اختباراتهم الشخصية . وطُلب مني ان القي بدلوي بين الدلاء ، وان اساهم في هذه الابحاث مع انني لم اكن في مرتبة اولئك الاشخاص اللامعين الذين اشتركوا في هذه المحاضرات . اذ كان بينهم امثال تشرشل – رئيس الوزارة البريطانية ، والدكتور فرنسيس سير – المندوب السامي الاسبق للفلبين . والدكتور سمث – استاذ الفلسفة في جامعة شيكاغو .

غير اني – وان لم اكن من الشخصيات البارزة ، ومن اصحاب الشهادات العالية – الا انني كنت صاحب اختبار كبير في الامور التجارية . وقد امدتني خبرتي التجارية ، وميراثي العائلي ببعض المعلومات الكافية لهذه المحاضرات . ويطيب لي ان اعرض في كتابي هذا بعضاً من الافكار التي وردت في محاضرتي قلت :

لنذكر اننا نعيش في عالم واحد . واذا شعرنا كمواطنين لهذا العالم ان العلاقات بين بعض الشعوب قد ساءت ، افلا يجدر بنا ان نعمل جاهدين لتحسينها ... ؟ ! ويدرك المسيحيون ان ما يحصل على ارضنا انما هو جزء من خطة الله الازلية . وقد شاءت المشيئة الالهية ان تخرج اميركا ظافرة من الحربين العالميتين الاخيرين ، واحرز بها وقد اصبحت في طليعة شعوب العالم ان تشعر بانها مسؤولة امام ربّ الارض والسماء فينهض ابناؤها صفاً واحداً لتحقيق اغراض الله ولاعلان مقاصده في عالمنا .

* * *

ومهما كانت الروابط القومية وثيقة الا ان الفرد في صميمه تزوع الى الحرية . وليس ما دفع الاباء الحجاج من جماعات البيورتان ان يتركوا وطنهم ويأتوا الى العالم الجديد سوى حبهم للحرية . انهم نشدوا حرية الدين والحكم والكلام – انهم طلبوا من الله ان يساعدهم على سنّ قوانين عادلة وانظمة صالحة . وسواء اكانت جماعات الهولنديين الذين استقروا في ولاية نيويورك – ام فرق الكويكرز الذين رحلوا الى بنسلفانيا – ام اشتات الاسكندناڤيين الذين يمموا شطر مقاطعة دلوير – ام

جمهرة الانكليز الذين انتشروا في ڤرجينيا وجورجيا وكارولينا – ام جماعات الهوغنت الذين اختاروا كارولينا الجنوبية ملاذاً لهم – ام قوافل الاسبان الذين امتدوا الى كاليفورنيا – ام جماهير الفرنسيين الذين ساروا جنوباً واستقروا في مقاطعة لوزيانا – فان جميع هؤلاء اتخذوا المسيحية قاعدة لاعمالهم ، واساساً لمسالك عيشهم . ولا ندحة فالدين المسيحي متغلغل في الكيان الاميركي ، وهو في صميم حياة الشعب الاميركي قاطبة وهو الذي ساعد على نموّه واطراد تقدمه .

وجدير بنا ان لا ننكر ما للبيوت المسيحية وللكنيسة المسيحية من تأثير على رقي البلاد ، اذ ان هذه المؤسسات هي في قرارة البعث القومي ، وكانت الينابيع الفيّاضة التي منها استمدّ الشعب الاميركي قوته المبدعة . ولا غرابة فللبيت تأثير على تكوين العادات وتقرير السلوك . وحالما نفتح اعيننا لاستقبال نور الحياة نجد انفسنا تحت رعاية الوالدين . وهكذا يصبح الفرد منا صورة ناطقة للبيت الذي نشأ فيه ، وتشرّب مبادءه .

* * *

ما اسعد الذين نشأوا في بيوت مسيحية وتربوا فيها ... ! واني لاشكر ربي اذ شاءت مشيئته فجعلني احد هؤلاء ... ! وها هما والداي يرتسمان امامي ، فاراهما بذاكرتي يكدّان ويجدان ، ويواصلان العمل المنتج من بياض النهار الى فحمة الليل ... ولا يخفى ان بعض السنين كانت جدّ قاسية عليهما حتى كادت الشدائد تقطّع اقوى عرق فيهما . ولولا

ايمانها القوي بالله لخارت قواها ، وانهدت عزائمها . ولولا شعاعة الرجاء المسيحي التي غمرت قلبيها ، وروح التضحية والتقداسة التي تجسّمت في حياتها ، لانهارت تلك الحياة امام مطارق الدهر ، وهزاهز الايام . انما تلك القوى الروحية المستمدة من العلاء اكسبتها حصانة ومناعة ، فاتاحت لها الصمود امام الشدائد والمصاعب ، ومهدت السبيل لنجاح اولئك الاعقاب الذين تركوهم ليشقوا طريقهم من بعدهم في هذه الدنيا .

وقدّم مرّة بعض الجيران الاخيار لنا بعض الحلوى ، فتناولتها امي وقسّمتها بيننا ، محتفظة بحصتها على احد الرفوف . وكانت الحلوى ثمينة ونادرة في تلك الاوقات . ولم تشأ ان تأكل حصتها بل رغبت ان توزعها على اولادها فيما بعد . وعندما لاحظتُ هذا منها امتلأت نفسي اعجاباً وتقديراً لتلك الام المحبة المضحية . هذا بالاضافة الى ما كنت الاحظه دوماً فيها من روح خيّرة نبيلة ، ومن نفس مسيحية مشرقة .

* * *

وما اكثر ما تساءلت عن الدوافع التي ادّت الى طيبة اخلاق والديّ وطهارة نفسيها ، واشراق روحيهما – ولم يعوزني الجواب مشقة لاني ادركت ان ذلك كان سببه الايمان بالله ، والمحبة المتفانية ليسوع المسيح . واني على مثل اليقين انه لو عشت في رعاية والدين آخرين لم يعرفا المسيح في حياتها لاختلفت اموري كثيراً ، ولما كان لي هذا الوضع العتيد . ويخيّل اليّ ان اهمّ واجبات الوالدين هو توطيد اركان تلك البيوت المسيحية التي

يتدرج البنون في كنفها في الحياة الروحية ، وتتاح لهم في اجوائها فرص النمو الادبي والاخلاقي والترعرع الصحيح الكامل .

* * *

وان كنا نسعى لتحقيق المثل المسيحية العليا فما من سبيل افضل من الكنيسة . ولقد شهدت في زماني تغييرات كثيرة طرأت على عالمنا ، اذ شاع استعمال التلفونات ، والسيارات ، والطائرات ، والسينمات ، وباقي المكتشفات الحديثة ... ومما لا ريب فيه ان هذه الاختراعات قد ازالت الكثير من مظاهر الحياة القاسية ، ووفرت للانسان اسباب العيش الهني. — بيد انه بالرغم من تغيير اوضاع الحياة فالانسان يظل كما كان . وطبيعة الانسان هي هي سواء في هذا العصر ام العصور البدائية الاولى ... وما برح الانسان مخلوقاً على صورة الله ، ويحتفظ بقبس من نوره . وها هو تاريخ الكنيسة يحفل بحياة الكواكب والرواد ، والشهداء والقديسين الذين بذلوا حياتهم في سبيل تحقيق مشيئة الله في هذه الدنيا .

واستطاع ملايين من الناس ان يجدوا ما يقويهم لحمل اثقال الحياة ، وما يجلب لنفوسهم الحزينة القابضة السلوى والعزاء عن طريق الشركة مع الآب السماوي ، واتخاذ المسيح رفيقاً لهم . وربما كانت كلمات الرسول بولس التي خاطب فيها كنيسة فيلبي خير ما يوضح لنا الفضائل المسيحية عندما يقول : اخيراً ايها الاخوة كل ما هو حق ، كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل ما هو مسرّ ،

كل ما هو صيته حسن ، ان كانت فضيلة ، وان كان مدح ، ففي هذه افتكروا . وكذلك قول المسيح : ان ابن الانسان لم يأت ليُخدَم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين .

* * *

وتمشياً مع وصية المسيح ، وتعليمه السامي طلبت الكنيسة من ابنائها وبناتها ان يتقدموا للخدمة المتفانية ، والتضحية التامة . وكثيراً ما سعت للوصول الى حياة اسمى ، ومقياس ارفع للعيش عن طريق الخدمة والتضحية . وسيظل العهد الجديد ينبوع الرجاء لطلّاب الحياة المثالية . وقد جعل المسيح الحياة حقيقية وواقعية لنا بتجسده وعيشه على ارضنا . وقد حمل التلاميذ الاخيار رسالته الى العالم — وعندما انتهت ايامهم ظهر على التوالي نفر من المؤمنين الذين استعدوا لحمل رسالته الى العالم ولما — لم تنتهِ هذه المهمة أُسندت الينا وانيطت بنا نحن ابناء هذا الجيل ان نتممها . ومسؤوليتنا خطيرة في هذه الاوقات اذ لا عصر يحتاج الى الاصلاح اكثر من عصرنا الحاضر . فاينما نتوجه نسمع الناس يردّدون العبارة: ان العالم في حاجة الى تغيير . ويُجمع الكثرة ان هذا التغيير لا يتمّ الا عن طريق اناس غيّر المسيح حياتهم ، وانالهم قوة جديدة من السماء .

ان هؤلاء الذين اتصلت ارواحهم المجنحة بالعلاء هم الذين يستطيعون تغيير العالم ، واعادة تنظيم اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وعندما نتطلع الى فسحة العيش والامكانيات التي تنفتح امام

اعقابنا وذرارينا في هـذه الحياة نأمل ان لا يُحرم هؤلاء روح الرجاء المسيحي ، لانه في غمرة ذلك الرجاء تتبدّد مخاوفنا وتشفى جميع امراضنا . واني اقول هذا واصرّح به ليس كلاهوتي اختص ببحث العقائد بل كرجل اعتيادي اختبر عمل الله في الحياة الانسانية .

* * *

واني اؤمن بانه اذا رغبنـا في ان نثبّت البيت المسيحي ، وندعم رسالة الكنيسة ، فما علينا الا ان نوجـد افراداً كرّسوا ذواتهم لله . فالبيت والكنيسة يجب ان يظلا ينبوعاً فيّاضاً للحياة الروحية . واذ كنا نحن الاميركيين نتمتع بافاويق الحرية في بلادنا فلنذكر ان الملايين مـا برحوا يرسفون تحت ربقة العبودية ، ومقيّدين بقيود الطغيان والدكتاتورية . وقديماً ادرك رسول الجهاد مدى تأثير هذه القوى الزاجرة فخاطب في رسالته اهل افسس قائلاً : **البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تثبتوا ضد مكايد ابليس ... فاثبتوا ممنطقين احقاءكم بالحق ولابسين درع الـبر ، وحاذين ارجلكم باستعداد انجيل السلام .**

ولا اقول ان العيش بموجب القاعـدة الذهبية سهل ، غـير ان من يختبر هذه الحياة لا يستطيع ان يخدم سيدين . وانا بدوري فقد اختبرتها في البدء عندمـا عملت مع والـدي ، وعلى نطاق اوسع ساعـة التحقت بميادين الاعمال التجارية . وفي ميسور كل امرىء ان يكون مسيحياً صادقاً وتاجراً ناجحاً .

ونهجت شركتنا على خطة تدريب المستخدمين ، واعداد العمال المثاليين ، ولم يكن هدفنا الاساسي كسب الاموال ، لان ذلك التوجيه الخلقي ادّى الى نتائج طيبة بحيث جلب لشركتنا الارباح الطائلة . وليس في وسع شركة ان تتطلب تحسناً في اوضاعها ما لم تسعَ الى مثل هذا التغيير . وتحتم علينا القاعدة الذهبية ان نساعد الناس ، لانه عن طريق هذه المساعدة تتاح لهؤلاء الفرصة ان يظهروا مواهبهم . ويدرك اصحاب الرؤى الواسعة ، وذوو النفوس العامرة ان العنصر الاساسي في العلاقات الانسانية هو عنصر روحي . ولا مجال للشك في ان نجاح المؤسسات التجارية لا يرتكز على حساب الارباح ودقة الميزانيات بل على الروح التي تهيمن على الافراد ، وعلى مدى تعاونهم في سبيل تحقيق الاهداف الانسانية الخيرية .

* * *

وسوف يتلاقى العدل مع المحبة عندما نعيش بموجب مبادىء هذه القاعدة الذهبية ... ولقد تفهّم الرسول بولس شخصية المسيح وادرك رسالته كل الادراك لذلك استطاع ان يكتب ذلك الاصحاح العظيم عن المحبة . فكلماته آية في الروعة ، وتعتبر من عيون البيان . وهل ابلغ من قوله : **المحبة تتأنى وترفق – المحبة لا تحسد ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء – المحبة لا تسقط ابدًا .**

ولزام علينا في هـذه الاوقات المضطربـة ، والاوضاع المقلقلة ان نجدد علاقاتنا بالبيت وبالكنيسة وبالله . فنجعل قلوبنـا مسكناً للعليّ ، ونقدّم له ذواتنـا ليملك عليها . وانه لواجب علينا ان نعمل باخلاص لتحسين العلاقات الانسانية وبناء عالم افضل ...

هذه معتقداتي الشخصية اوردتها في كتابي عساها تحقق بعض الغايات السامية التي نصبو اليهـا . وتؤدي الى تحسين علاقاتنـا الانسانيـة ، وتمهد لدنيـا جديـدة وعالم مثالي ....

الفصل السابع عشر

جاءني ذات يوم رجل يطلب مقابلتي ، وكنت عندذاك اتفقد احد فروعنا النائية ، ومنهمكاً في عملي الا ان هـذا السائل اصرّ على الاجتماع بي ، لانه تحمّل مشاق سفرة طويلة ليراني . فعرّفني على نفسه – وكان رجلًا قروياً معتزاً بذاته – وقال لي ان زوجته تحتاج الى علبة من الابر ، وانه لمدة طويلة يتعامل مع شركتنا . ولما علم بوجودي قريباً من قريته جاء ليراني . فقضينا فترة من الوقت ونحن نتجاذب اطراف الحديث ، واتاحت لي هذه الفرصة ان اخبره عن القاعدة الذهبية واثرها في الحياة . واطلعته كيف ان شركتنا جعلت هذه القاعدة اساساً لمعاملاتها منذ بدء عملها ...

ما زلت اذكر هذه الحادثة لانها حملتني على التفكير في امر هذا القروي وفيما دعاه الى الاصرار على الاجتماع بي . وقد ساءلت نفسي عندذاك

كان ذلك منه لارضاء غريزة الاستغراب ، ام هي رغبة منه في مشاهدة من يمثل هذه الشركة التي تعامل معها طويلاً ولمس بعضاً من مبادئها . وحملتني هذه الحادثة العابرة ان افكر اكثر في مسؤولياتي تجاه الناس . ولا بد ان يجيء يوم ننظر فيه لانفسنا كما ينظر الينا الآخرون ... اللهم الا اذا تجردنا عن عواطفنا واحساساتنا واصبحنا قطعاً من الصخر او من الطين ... !

وقد قال امرسون - اديب اميركا واشعياء القرون الحديثة : ليست المؤسسات سوى ظل لاحد الاشخاص - اذ ليس في وسع الفرد ان يعيش وحيداً او في معزل عن باقي الناس ، لانه جزء من المجموع وهو دائماً يتعرض لتأثيرات المحيط وشتى عوامل البيئة التي يعيش فيها .

* * *

ولم اكن انا الذي خلقت شركة بني ، لان مثل هذه الشركة مشروع كبير لا يستطيع فرد لوحده ان يخلقه ، ولا مراء فقد تعاون الكثيرون على ايجادها واخراجها الى حيز الوجود . وهذه الشركة هي مثال رائع للعمل التعاوني . ومهما بذلت من جهود ومال في توطيد اركانها ، او قدمت من افكار وتوجيهات لتحسين اوضاعها واعلاء شأنها فان هذه الاشياء ستعود عليّ في النهاية بارباح مضاعفة خصوصاً عندما اكتسب ثقة معاوني ومحبتهم . واني شعرت في مناسبات عديدة ان شركائي وزملائي اخذوا

يقدرون اعمالي ، وهذا التقدير شجعني على تثبيت ايماني والاستفاقة لخطورة رسالتي ...

ولا يخفى ان في المسيحية مبادىء تتحكم بالسلوك الانساني ، اذ هي قوة عظيمة توجه مجاري الحياة ، وتقرر مسالكها . واذا سمحنا لله ان يسيّر دفة حياتنا ندرك عندئذ ان هذه القوى الالهية تسيرنا في مسالك رفيعة تؤول الى الخير الانساني العام . ورغبة مني في ايجاد طرق جديدة لتطبيق المبادىء المسيحية في الحياة العملية التحقت بفرق المتطوعين من العلمانيين . ومن واجب كل فرد ان يجد العلاقة التي توفق بين وصيتي المسيح في الجمع بين محبة الله ومحبة القريب . وليس ثمة شك انه في حفظ التوازن بين هاتين الوصيتين ، وتطبيقها في الحياة تنفتح امامنا فرص عظيمة لخدمة اخوتنا في الانسانية . ويتقوى ايماننا بالله ، ويزيد ادراكنا للقوى الروحية العاملة فينا .

* * *

حضرت مرة اجتماعاً لبعض المرسلين في احدى المدن . وترنّم الحاضرون بترنيمة احبتها امي كثيراً . واخترقت كلماتها شغاف قلبي . وظلت اردّد عباراتها العذبة « انا اتطلع اليك يا الهي بعين الايمان » . وشاهدت على مقربة مني رجلاً متأثراً مثلي من هذه الترنيمة . ويظهر ان كلمات الترنيمة اثارت فيه بعض الذكريات القديمة فدنوت منه وقلت : هذه ترنيمة احبتها امي كثيراً ... فهل والدتك تحبها ايضاً ؟ ! اجاب : كانت امي احد اعضاء جوقة الكنيسة ، واني امثل نفسي في هذا الوقت استمع

الى صوتها وهي تنشد هذه الترنيمة الجميلة . فقلت له : لا تقنط او تفقد ايمانك ... فان والدتك اينما وُجدت انما تؤمن بك ، وتثق بمبادئك القويمة .

وتابع الحضور الانشاد فسمعتهم يرنمون قائلين :

في ظلمة الاجفان وشدة الاحزان
كن مرشدي دع ظلمتي تُكشف
وادمعي تنشف والوجه لا يُصرف
عن سيدي

وعند الانتهاء من هذه الترنيمة التفت الى صديقي وقلت له : انا متأكد انك اختبرت الله في يوم من ايام حياتك – وقد بدا هذا الرجل تاعساً وشقياً – وقد ارتمى من فرط اعيائه واضطرابه على المقعد . وسألته هل اذا مشيت امامك تتبعني . اجاب بصوت خافت : اتبعك ...

* * *

وشعرت عندذاك لاول مرة ان الله منحني امتيازاً لاقود زميلاً الى الله . واني اشكر العلي الذي باركني واتاح لي ان اقوم بعمل بسيط اساعد فيه هذا الرجل . ولطالما دانى الاختبار اننا اذا تقربنا الى الله عن طريق الصلاة ، وتسليم الذات نشعر بتغيير كليّ في حياتنا لا

نستطيع الحصول عليه عن طريق اتباع المقاييس الاخلاقية ، والنظم العالمية .

والضممت الى نادي الروتاري واصبحت عضواً فيه . وحملني الانضمام الى هذا النادي الشبه الكبير بين المبادىء التي يدعو اليها ومبادىء المسيحية التي أؤمن بها . وابرز مبادىء هذا النادي هي خدمة القريب وانكار الذات . وهي تشبه تعليم المسيح : **من يهلك نفسه من اجلي يجدها** . او ليس هذا هو عين ما سعت اليه شركة بني واتخذته لها شعاراً ... ؟ ! فالشرف والخدمة والامانة والاستقامة والتعاون هي في طليعة المبادىء التي تجسمت في هذه الشركة التي حملت اسمي ...

* * *

واراني راغب في عرض افكاري فيما يتعلق بالمستقبل والايمان بالله . فانا اصرّح بان الحروب الاخيرة لم تزعزع ايماني . واني على مثل اليقين ان قوى الخير والعدل والحرية سوف تنتصر في النهاية . ولا انسى فضل والديّ عليّ اللذين غرسا في قلبي نواة ذلك الايمان الحي . وانا لست اشك مطلقاً في ان النصر النهائي هو للحق الالهي ... واطالما ظن الكثيرون اننا نعيش في اواخر الايام ، لان قوى الشر منتشرة في كل مكان ، بيد انني لن انسى كلمات ذلك القسيس الذي قال : لو عرفنا كتابنا المقدس معرفة جيدة لاستغنينا عن قراءة الصحف ...

اننا نتوقع ان يزداد اضطراب العالم وقلق شعوبه من جراء اندفاعهم مع تيار الشرور بيد انه يترتب علينا ان لا نفقد ايماننا بالله مهما حصل لعالمنا - لان رحمة الله متناهية ، واذا آمنا بعدله ومحبته فليس ثمة مبرّر لضعف ايماننا . واذا كنّا نؤمن بالله ، فالله قادر ان يعلي شأن الحق ، ويجري العدل في هذه الدنيا . وقال النبي ميخا قديماً : ماذا يطلبه منك الرب الاّ ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك .

* * *

وبعد ايماني بالله أؤمن بهذا الشعب الاميركي الذي انا فرد منه . فقد شاءت الارادة الالهية ان تنهض هذه البلاد وتزدهر . واعتقد ان الله اصطفى الشعب الاميركي ليؤدي رسالة سماوية الى شعوب هذا العالم . وقد قامت هذه البلاد على روح الصلاة ، والايمان ، والبطولة المضحية . وعبّر الرئيس ابرهيم لنكولن عن نفسية الشعب الاميركي عندما قال : ان هذه الامة التي خضعت لله سوف تنال لوناً جديداً من الحرية . وهذه الحكومة التي هي من الشعب والى الشعب لا يمكن ان تزول من هذه الدنيا .

واعترف انه كان في وسع شعبي ان يخطو اكثر في مراقي العظمة ، لو انه لم يستسلم في بعض المراحل من تاريخه الى الفساد والانانية ، ويرتمي في احضان الحزبية . وليت هذا الشعب يتمسك بالمبادىء الصحيحة ، تاركاً كل ما هو سلبي . وليت افراده يقومون بالواجب المترتب عليهم

بالرغم مما يعترض سبيلهم من عقبات . وستظل وصية المسيح الداعية الى اقران محبة الله بمحبة القريب حجر الزاوية في حياة البشر كافة . ومتى ادمجنا هذه المحبة في الحياة اليومية ، واشعناها في علاقاتنا الانسانية بحيث احتفظنا بالتوازن بين محبة الله والقريب عندئذ نستطيع الحصول على بركات روحية وفيرة ، مع تأدية بعض الخدمات المثمرة لبلادنا وللعالم اجمع .

* * *

واسترعى انتباهي مرة سؤال وجهه احدهم الى قسيس فسأله : ما هي اهم كلمات في الكتاب المقدس في نظرك ؟ وبدون تردّد اجاب القس مشيراً الى الآية الكريمة : **لا تخف آمن فقط** . مرقس ٥ : ٣٦ وحقاً ان جميع الابواب لتبدو مفتوحة امامنا اذا اقترنت حياتنا بالايمان . واشعر انني مررت بمراحل عديدة في حياتي واذا ما استعرضت الماضي وجدت ان المرحلة الثانية من حياتي كانت اهم بكثير من الاولى ، فهنا لمست مفاعيل الحياة الجديدة وتجسمت بوضوح مسالك والديّ الراحلين . فقد برزت امي امامي وهي تشبه في تصرفاتها القديسات ، وبانت صورة والدي ساعة استطاع ان يطبق مبادىء القاعدة الذهبية في شتى مرافق حياته ...

ولولا انني تدربت على ايديهما ، ونهلت من معينهما لما كنت قادراً ان اعامل الناس معاملة تتمشى بموجب القاعدة الذهبية . فانا مدين

لها لهذا الدرس الذي علّماني اياه ان اعامل الناس مثلما اريدهم ان يعاملوني به ... واني لعلى مثل اليقين انه لولا هذه المبادىء الرفيعة التي تطعمت بها منذ صغري ، لما قامت لشركة بني ثمة قائمة ، ولما تذوقت افاويق ذلك الفرح المسيحي ، ولما حصلت على هذا السلام والاطمئنان الذي يشعر به كل من آمن بقوة الله القديرة وبمحبة يسوع المسيح الفائقة ...

حياة مثابرة

هذه ترجمة حياة كتبها المؤلف بذاته فيها تحدث عن اختباراته طيلة الخمسين عاماً المنصرمة التي جعل شعارها القاعدة الذهبية .

فاقرأ - ايها الرفيق - هذه السيرة لتتلمس اسرار النجاح ولتشق طريقك في ميادين الحياة .

ولدى مكتبة المشعل

الكتب التالية للعرب

كواكب ورواد - وتمثيليات
وقصص مختارة من الادب العالمي

مكتبة المشعل
TORCH LIBRARY

بيروت ص . ب ٢٣٥

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00350861